



دراسات عربية وإسلامية
دورية علمية محكمة

رجب ١٤٣١هـ / يوليو ٢٠١٠م

العدد الأول

السنة الأولى

التوجه النقدي والبلاغي

في

صنعة ابن شهيد الأندلسي

"دراسة بلاغية نقدية"

دكتور / هاني فراج علي
مدرس البلاغة والنقد الأدبي
كلية الآداب . جامعة المنيا

التوجه النقدي والبلاغي في صناعة ابن شهيد الأندلسي

" دراسة بلاغية نقدية "

دكتور / هاني فراج علي

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

كلية الآداب — جامعة المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ...

فهذه دراسة تحاول أن تكشف عن التوجهات النقدية والبلاغية في نتاج ابن شهيد الأندلسي (٣٨٢-٤٢٦هـ) ، والموقف النقدي منها لا سيما في أبرز كتاباته التي قدمها في رسالة التوابع والزوابع أو (شجرة الفكاهة) التي تعد تعبيراً فنياً ذاتياً عما عبر عنه الفقيه الأديب أبو محمد بن حزم (٣٨٣-٤٥٤هـ) في رسالته في فضل الأندلس ، وقد كتبها لصديقه أبي بكر يحيى بن حزم ؛ ليعرض فيها أروع نتاجه ، حيث تعتمد تلك الرسالة الفكرة القديمة في أن لكل شاعر تابعاً من الجن يلهمه الشعر .

ولكن ابن شهيد قد أبطل المعتقد السائد الذي وضعه المرزوقي في أن النثر والشعر لا يتفقان على درجة واحدة في الجودة لشخص واحد ؛ ولذا عرض ابن شهيد شعره على قدامى الفحول حين زار ديار الجن مثل امرئ القيس وطرفة وقيس بن الخطيم وكبار المحدثين مثل أبي نواس وأبي الطيب ، فكل أجازته وشهد له بالإجادة ، ثم عرض نثره على تابعي الجاحظ وعبد

الحמיד فأجازاه كذلك ، فاستوت له التقدمة في الصناعتين ، وقال له صاحب
عبد الحميد والجاحظ : " اذهب فإنك شاعر خطيب " (*) .

إلى جانب كتاب حانوت عطار ، ورسائل متفرقة تحدث فيها عن البيان ،
ثم مدى إسهامه في إثراء الحركة النقدية ومحاولة وضع قواعد مقبولة للأخذ
في تلك الفترة .

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يركز على تنامي الأبعاد النقدية
وتوجهاتها في بيئة الأندلس ، وما يلاحقها من أثر بلاغي يتأتى في مسائل
البيان المنوطة بالوظيفة الأدبية ، ولكونه كذلك يعالج الرؤى النقدية وتتبعها
عند أكثر المعنيين بالدرس النقدي في هذه البيئة وهو أبو عامر ابن شهيد
الأندلسي الذي تبنى عاملاً موجهاً في مذهبه النقدي قد تجلى في إيمانه
بطريقته في الشعر والنثر ؛ ومن خلال هذا الإيمان كان يقيس شعره على
غيره من الشعراء .

ويهدف البحث - في ضوء هذه المحاولة - إلى تحديد ملامح
التوجهات النقدية والبلاغية التي شكلت الموقف النقدي عند ابن شهيد ، وما
أثاره من قضايا في كتاباته المتنوعة بين الرسائل والكتب ، ومدى تنامي
الرؤية الجمالية والفنية في نظريته للشعر الناجمة عن مبدأ الانسجام فيه ،
والإحاحه على أن " للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات ، فإذا جاور
النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة " (*) .

وعلى هذا فقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وثبت
بمصادر البحث ومراجعته .

(*) انظر : ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني ت: ٥٥٤٢هـ) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د/
إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٥م ، قسم ١ ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(*) المصدر السابق ، قسم ١ ج ١ ، ص ١٩٩ .

أما المقدمة فقد تحدث فيها الباحث عن أهمية تلك المحاولة وبيان أبرز أهدافها التي تطمح في تحقيق حيثياتها المأمولة من جراء البحث والتنقيب .

وأما التمهيد فيعالج في إيجاز بيئة النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، والوقوف على الملامح البارزة في هذا النقد ، مع موجز عن حياة ابن شهيد ومذهبه النقدي .

وأما المباحث الأربعة فقد انتظمت في تتابع وتحديد التوجهات النقدية والبلاغية عند ابن شهيد ومدى تشكيلها لموقفه النقدي في هذه الفترة ، وتمثلت فيما يلي :-

المبحث الأول : التوجهات النقدية والبلاغية في مسائل البيان ووظيفة الأدب ، وتضمن :

(أ) ارتباط الأدب والبيان بالطموح السياسي (براجماتية فلسفته الجمالية في توظيف الأدب) .

(ب) المشاهد البيانية والوظيفة الأدبية في نصوصه .

المبحث الثاني : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل النقد الفني ، وتضمن :

(أ) مبدأ التناسب والانسجام في نقد الشعر .

(ب) مصادر الجمال في مذهب النقدي .

(ج) لغة الأدب وطبقات صناع البيان .

المبحث الثالث : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل القديم والحديث ، ويشتمل على :

(أ) مسألة الأخذ والتوليد في الشعر .

(ب) مذهب في الانتصار لعمود الشعر .

(ج) مسألة القياس على الشعراء المشاركة .

(د) موقفه النقدي من طرائق الفن النثري عند المشاركة .

المبحث الرابع : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل الإبداع والصناعة الفنية ، وتضمن :

(أ) ثنائية الطبع والصناعة

(ب) ثنائية العلم والموهبة وارتباطها بعناصر الإبداع في مذهبه النقدي.

(ج) روابط الإبداع بشياطين الشعر .

وأما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي طمح البحث في تحقيقها

التمهيد

البيئة النقدية في الأندلس وعصر ابن شهيد

أولاً: بيئة الأندلس وإرهاصات النقدية :-

لا ريب أن الذوق الأندلسي قد تربى على أشعار الأجداد من أهل المشرق العربي ، فقد لبث مدة طويلة يتلمس خطى شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأبي العتاهية ، وظل مأخوذاً بالشعر المحدث من إبداع هؤلاء إلى أن دخل القالي إلى قرطبة سنة ٣٣٠هـ محملاً بدواوين الجاهليين والإسلاميين مقروءة ومصححة على الأئمة .

ومن هنا جاءت البدايات النقدية في تلك البيئة ساذجة لم ترق إلى مستوى القضايا الكبرى التي أثرت في النقد المشرقي ، والمتمثلة في الحديث عن الطبع والصناعة ، واللفظ والمعنى ، والصدق والكذب وغير ذلك ، وعلى هذا النهج ظل بسيطاً في كلا المجالين النظري والتطبيقي ، لا ينفك عن التمرس ببعض الأخطاء اللغوية والنحوية .

وعلى هذه الوتيرة تجلت وقفات نقدية تمثل أقصى طموحها في متابعة النهضة النقدية في المشرق ، كان من أبرزها لابن عبد ربه في عقده الفريد ، حيث دار حديثها حول عيوب الشعر ، وعدم تفضيل القدماء على المحدثين ، وتوافر الملكة والدربة ، كما يضع توجهاً للشاعر في أنه لا يفيد أخذ ألفاظ الناس وكلامهم " فإن ذلك غير منمّر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملقحة لطبعك " ، ويسمي السرقات الشعرية باسم " الاستعارة " ، ويرى أن أخفاها وأدقها ما كان ينقل المنثور إلى المنظوم أو العكس ^(١) .

(١) محاضرات الموسم الثقافي في الكويت (العدد الخامس) ، الكويت ١٩٥٩م ، ص ١٧٦ .

غير أن هذا الأمر لم يمكث طويلاً ، فكان لابد للطاقت النقدية أن تقوى في البيئة الأندلسية طبقاً للتطور الزمني والمعطى الإبداعي ، وقد تفجرت دوافع مختلفة كانت سبباً في تقوية الطاقت النقدية في تلك البيئة كان من أهمها :

(أ) نشاط الحركة العلمية والثقافية التي تولدت في الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) ، حيث خلعت هذه الحركة نوعاً من الثقة عند الأندلسيين ، والتميز بين التبعية الكاملة للمشرق والاستقلال الذاتي ، والعكوف على ما يسمى بالحركة الشعرية في الأندلس أو شعر الأندلسيين الذي تضافرت حوله الجهود في تنمية الوعي العميق بالمفارقات والمقارنات ، وهي أول حوافز النقد

(ب) الأثر المشرقي في هذه البيئة ، حيث وصلت النهضة النقدية في المشرق بكتاباتها المتعددة إلى بلاد الأندلس والتي ارتادها ابن طباطبا العلوي والآمدي والحائمي والجرجاني ، وذلك في القرن الخامس الهجري ، فأثرى نشاط هؤلاء حركة النقد عند المعنيين بالحركة النقدية وفتحت أمامهم مجالات القول والفكر في النقد .

(ج) إقبال الأندلسيين على شيء من المنطق والفلسفة بعد توافر قسط من الحرية النسبية في هذا المجال قد ساعد على تعمق النظرة إلى الظواهر الإنسانية والأدبية بما فيها الشعر والنقد .

(د) إنشاء ديوان للشعراء لا يقيد فيه اسم الشاعر ؛ لينال عطاء بعد أن يثبت تفوقه ، قد أسهم ذلك في استعارة جذوة المنافسة بين المبدعين شعراء ونقاد ، الأمر الذي نجم عنه إثارة الأذهان للنقد ، والتعرض لمباحثه وتلمس مبادئه ، فتما عندهم الوعي به وبتداعياته المنهجية .

وقد كان الوضع الأندلسي إلى جانب الشعر من مقومات وجود النقد الأدبي وتحديد سماته في هذه البيئة ، إذ تمثل الوضع الأندلسي في احتذاء المشرق ، إلا أنه قد نما إحساس بالذاتية الأندلسية واستقلاليتها ، فجاء النقد عندهم مدافعاً

عن هذا الإحساس إلا أنه — كذلك — كان مشوباً بالأحكام الأخلاقية التي طبعت الحياة الأندلسية آنذاك ، وكان الشعر الأندلسي من طبيعته الأولى أن تربي على الذوق المحدث ونما فيه هذا الاتجاه بقوة ، وأسعفت الحضارة الأندلسية في استقوائه ، فتوجه الشعر عندهم إلى وصف الطبيعة والإنسان عن طريق الصورة والإكثار من التشبيهات ، ومن ثم كان من أبرز العناصر التي التفت إليها النقاد التشبيه ، حيث ظهر كتابان في أوائل القرن الخامس يكتبان في التشبيهات ، أحدهما : كتاب أبي الحسن علي ابن محمد بن أبي الحسين الكاتب .

والثاني : كتاب ابن الكتاني الطبيب ، وكلاهما مقصور على تشبيهات الأندلسيين دون سواها (٢) .

وكان قد حدث صراع بين تيارين متوازيين حول الشعر ، أحدهما سمي بطريقة العرب ، والآخر هو مذهب المحدثين ، ونتج عنه خصوبة — إلى حد ما — في مجال العمل النقدي ، إضافة إلى تنامي فضل الصراع الناشب — كذلك — بين الشاعر والمعلم ، أو بين ابن شهيد الأندلسي وطبقة اللغويين . وعلى هذا فإن النقد الأندلسي قد كان نتاج كل هذه التداخيلات ، إذ قد دار في مجالات مختلفة كان من أهمها : الدفاع عن الأندلس وأدبها ، واللجوء إلى حمى الأخلاق ، والتشبث بالصورة ، وقوانين الأخذ والسرقات الشعرية . وهذه الإرهاصات كانت نقطة انطلاق وتحفيز للحركة النقدية في بيئة الأندلس ، ظهر على إثرها محاولات نقدية تعالج قضايا وطيدة الصلة بموضوعات الشعر وأغراضه ، وتقوم على قراءة المصنفات النقدية على ضوء عصرها والربط بينها ، وتشكلت على غرارها الرؤى النقدية عند ابن

(٢) انظر : الحميدي (أبو عبد الله بن فتوح بن عبد الله الأزدي ، ت : ٤٨٨ هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م ، ص ٢٩٠ ، وانظر : ابن الكتاني : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، بيروت ، طبعة ١٩٦٦ م ، مقدمة الكتاب .

شهيد وابن حزم والكلاعي، إلى جانب الشعراء والكتاب أمثال ابن خفاجة ، وابن الزقاق البلنسي ، وابن بقي (٣) .

وأخذت الحركة النقدية تنتشط وتترى في ظل شيوع المؤلفات الأدبية والنقدية والبلاغية ، مثل : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني الذي يعد من أكثر النقاد بالأندلس تمسكاً بقواعد النقد وتطبيقها ، وابن خيرة المواعيني صاحب كتاب الأمثال وكتاب الوشاح المفصل ، وكتاب ريحان الألباب وريحان الشباب (٤) ، وغير ذلك من المؤلفات التي لا حصر لها ، وقد أثرت الحركة النقدية بشكل كبير في البيئة الأندلسية .

ثانياً : ابن شهيد الأندلسي ، حياته ومذهبه النقدي

(١) حياته ونسبه :

هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ، أشجعي النسب من ولد الوضاح بن رزاح الأشجعي (٥) ، الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري في موقعة مرج راهط (٦) ، وقد ولد ابن شهيد في قرطبة سنة ٣٨٣هـ (٧) ، ونشأ في بيت أدب ورياسة ، حيث كان جده الأعلى عبد الملك بن شهيد وزيراً للأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ) ، ووزر ابنه أحمد لعبد الرحمن الناصر ، الذي لقبه بذي الوزارتين (٨) .

أما والده فهو أبو مروان عبد الملك بن أحمد ، وقد كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر ، ووالياً له على شرق الأندلس (بلنسية وتدمير) مدة تسع سنوات

(٣) غومس غارسيا : الشعر الأندلسي ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ، ص ٥٨ ، ٦٢ .

(٤) انظر في ذلك : ابن الأثير : التكملة ، القاهرة ، طبعة ١٩٥٥م ، ص ٤٩٥ .

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٣ .

(٦) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ج ٧/ص ٣٧ .

(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٦ ، وانظر الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٩٣ .

(٨) الحميدي : المصدر السابق ، ١٣١ ، وانظر : د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠م ، ص ٤٤ .

(٩)، وقد كان أبو مروان — إلى جانب ذلك — شاعراً أديباً مؤرخاً ، صنف كتابه (التاريخ الكبير) في مئة مجلد (١٠) ، فهو من أسرة تزخر بالثقافة والأدب .

(٢) مذهب النقدي :

يعد ابن شهيد من أهم من تمرس بالنقد في القرن الخامس الهجري ، وقد عاش ما بين (٣٨٢ — ٤٢٦ هـ) ، تلك الفترة التي شهدت صراعات محتدة على السلطة ونشوب الحرب الأهلية التي انتهت بسقوط الخلافة وتوزيع الأندلس إلى دويلات متنازعة يحكمها ملوك الطوائف (١١) .

وقد عاصر ابن شهيد هذه الفتنة ، وكان شاباً في السابعة عشرة من عمره ، واضطر إلى الهجرة مع صديقه أبو محمد بن حزم بعد تخريب دورهم إلى المرية ، وقد رثى موطنه قرطبة شاكياً حزيناً لما ألم به وبموطنه يقول : " والذي أشكو منه أغرب الغرائب ، وأعجب العجائب ، بث شاغل ، وبرح قاتل ، وصبر بغيض ، ودمع يفيض لعجوز بخراء سهكة درداء ، تدعى قرطبة :

عجوز لعمر الصبا فانية لها في الحشا صورة الغانية

ترديت من حزن عيشي بها غراماً فيا طول أحزانيه (١٢)

وقد أشار ابن شهيد إلى امتداد آثار هذه الفتنة إلى مجال الثقافة والبيان في قوله : " وأصل قلة هذا الشأن وعدم البيان ، فساد الأزمنة ، ونبو الأمكنة ، وأن الفتنة نسخ للأشياء من العلوم والأهواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ،

(٩) انظر ابن بسام : الذخيرة قسم ١ ج ١ / ص ١٩٨ .

(١٠) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م ، قسم ٢ ص ٣٥٥ .

(١١) انظر : ابن بسام الشنتريني : الخيرة ، قسم ١ ج ١ ، ص ٣٦ ، وانظر : محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٩٠ ، وانظر كذلك : أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٣ م ، ج ٢ / ص ٢٧٢ .

(١٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٠٨ .

خاسر الصفقة ، يلمح بأعين الشنآن ، ويستنقل بكل مكان ، فأدر كناه بكل لسان ،
والتمسنا الإبداع ، فأثبتنا كل معجب وأتينا على كل مطرب ^(١٣) .
وفي ظل هذا الاضطراب جاء بقصيدة يرثي فيها قرطبة عند خرابها ،
ويكشف فيها عن طموحه السياسي وذكرياته بموطنه ، يقول ^(١٤) :

ما في الطلول من الأحبة مخبر	فمن الذي من حالها نستخير
فلمثل قرطبة يقل بكاء من	يبكي بعين دمعها متفجر
دار أقال الله عثرة أهلها	فتبربروا وتغربوا وتمصروا
في كل ناحية فريق منهم	متفطر لفراقها متحير
عهدي بها والشملى منها جامع	من أهلها والعيش فيها أخضر
والقوم قد أمنوا تغير حسنهما	فتعمموا بجمالها وتأزروا
ياطيبهم بقصورها وخدورها	وبدورها بقصورها تتخدر
والقصر قصر بني أمية وافر	من كل أمر والخلافة أوفر
والزاهرية بالمراكب تزهر	والعامرية بالكواكب تعمر

يتجلى من ذلك أن المذهب النقدي عند ابن شهيد يخضع لهوى الرجل
وذوقه الخاص ، حيث كان في خصومة دائمة مع اللغويين ، وقد وضعه
إعجابه بذاته موضع التفرد ، وكانت الخصومة بينه وبينهم تدور حول
دعواهم بأنهم يستطيعون تعليم البيان ، فأحب أن يثبت لهم بُعد ما بين الموهبة
والاكتساب ، ولهذا كان العامل الموجه في مذهبه النقدي هو إيمانه بطريقته
في الشعر والنثر ، ومن خلال هذا الإيمان كان يقيس شعر غيره من الشعراء
، وظهر ذلك بشكل واضح في كتابه حانوت عطار الذي لم يصلنا ، ولكن
الحميدي نقل عنه في " جذوة المقتبس " ، وتدل نقوله على أن الكتاب
تراجم لشعراء الأندلس .

(١٣) المصدر السابق ، قسم ١ ج ١ ، ص ٢١٢-٢١٣ .

(١٤) ابن شهيد : ديوانه ، ص ١٠٩-١١٠ .

إلى جانب رسالة التوابع والزوابع التي تجلّى فيها مذهب النقدي بشكل أكثر ، حيث صنفها خلال فترة الفتنة البربرية ، وتمثل فيها توجهه النقدي القائم على الفكرة القديمة من أن لكل شاعر تابعاً من الجن يلهمه الشعر ، إلى جانب أنه أوضح فيها العديد من القضايا ذات الصلة القوية بالفكر النقدي عنده في تلك الآونة .

وقد امتاز مذهب النقدي — كذلك — بجودة الطبع ، وسرعة البديهة ، إذ كانتا فوق ثقافته ، الأمر الذي ذكره ابن حيان في معرض الإشادة به قائلاً : " كان في سرعة البديهة ، وحضور الجواب وحدته ، مع رقة حواشي كلامه ، وسهولة ألفاظه ، وبراعة أوصافه ، ونزاهة شمائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه " (١٥).

ولا شك أن ثقافته الحقيقية هي التي مكنته من أن ينتج كتبه ، وأعانتة على أدبه ، الذي قيل في شأنه " وله التصانيف الغريبة البديعة ، منها كتاب كشف الدك وإيضاح الشك ، ومنها التوابع والزوابع ، ومنها حانوت عطار ، وغير ذلك " (١٦) ، وقيل أيضاً : " وسائر رسائله وكتبه نافذة الجد كثيرة الهزل " (١٧)

وهذه الثقافة — أيضاً — كانت وراء شخصيته الفنية التي ذكرها مترجموه في قولهم : " وكان حتى وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة لم يُخلف لنفسه نظيراً في هذين العلمين " (١٨) ، وقد أشاد به ابن حزم مفاخراً به في رسالته في فضل الأندلس قائلاً : " ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد

(١٥) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢-١٩٣ .

(١٦) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ج ١ / ص ١١٦-١١٧ ، وانظر الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٣ ، وانظر : الضبي (أحمد بن يحيى) : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م ، ص ١٩٣ .

(١٧) انظر : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٣ ، وانظر : ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢ .

(١٨) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٥-١٣٦ .

صديقنا وصاحبنا.. وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار ، يكاد ينطق فيه بلسان مُركَّب من لساني عمرو وسهل ^(١٩) .

وفي توجهه النقدي والبلاغي ميزة أشار إليها المؤرخ ابن حيان قائلاً: " كان أبو عامر يبلغ المعنى ، ولا يطيل سفر الكلام ، وإذا تأملته ولسنه ، وكيف يجر في البلاغة رسنه ، قلت : عبد الحميد في أوزانه ، والجاحظ في زمانه .. وكان في تتميق الهزل والنادرة الحارة أقرب منه على سائر ذلك ، وشعره حسن عند أهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين فلم يقصر عن غايتهم ^(٢٠) .

وعلى هذا الأساس يكون قد تكشفت رؤية ابن شهيد النقدية ، وكيف أن الطبع قد كان معولاً أساسياً في توجيه مذهب النقدي ، إلى جانب ما تميز به من شمائل جعلته من أهم النقاد والأدباء في تلك الفترة ، ذلك التوجه الذي أثرى الحياة الثقافية بأدبها ونقدها وبلاغتها في بيئة الأندلس ، وكان لابن شهيد في آرائه ومذهبه إضافات في معالجة العديد من القضايا الأدبية والنقدية ، وكيف ولى وجهته البلاغية والنقدية حيالها ؟ هذا ما سوف تكشف عنه الدراسة في مباحثها القادمة ، وتعميق النظر في رؤاه والقضايا التي عالجها

^(١٩) المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد): نفح الطيب ، تحقيق: د/ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج ٣/ ص ١٥٦ .

^(٢٠) ابن بسام : النخيرة ، قسم ١/ ص ١٩٢ .

المبحث الأول : التوجهات النقدية والبلاغية في مسائل البيان ووظيفة الأدب**(أ) ارتباط الأدب والبيان بالطموح السياسي :**

يمكن أن نطلق على هذا العنصر برجماتية فلسفة ابن شهيد الجمالية في توظيف الأدب ، حيث ارتبط الإبداع الأدبي لديه بالطموح السياسي ، وجعله عدته يتسلح بها للوصول إلى منصب الوزارة ، وعلى هذا التصور نجده قد عاب على الجاحظ أنه لم يعمل عقله ، فيتخذ لكتابته غاية نفعية ، تتمثل في الارتباط بمنصب رسمي في الدول ، يقول: "إنه لم ير أغين من الجاحظ لنفسه ، إن كان واحد البلاغة في عصره ، فما باله لم يلتمس بها شرف الصنعة ، وقد رأى ابن الزيات وإبراهيم بن العباس بلغا بها ما بلغا ، وهو يلتمس فؤادهما والجاه بهما ، فلا يخلو في هذا إما أن يكون مقصراً عن الكتابة وجمع أدواتها ، أو يكون ساقط الهمة ، أو يكون إفراط جحوظ عينيه قعد به عنها ، كما قصر بي أنا فيها ثقل سمعي وأبي القاسم ورم أنفه" (٢١) .

فابن شهيد يتصور أن ليس للبلاغة أو الكتابة هدف سوى المنصب الرسمي أو الوزارة ، كما يكشف — من فحوى كلامه — أنه يأسى لتقصيره عن البلوغ إلى هذه المنزلة الرسمية ، وإن كان يلقي اللوم على عيب خلقي لا يد له فيه ؛ ليبرر لنفسه الوقوف عند هذه الحالة ، وليستبقى توازنه النفسي ، ويعيب كذلك على الجاحظ في أنه لم يعمل عقله في الوصول إلى مجد السياسة ، فابن شهيد يرى أن الأدب ينبغي أن يوظفه صاحبه لمطمح يتطلع إليه .

ولما كان هدفه من مزاوله الكتابة والأدب يتجلى في طموح سياسي ، يرغب في نيله ، جاء الانتقاص من خلال شعره ونثره ، ونتج عنه — كذلك — توجه خصومه إلى هدم شعره ، واتهم فيه بالأخذ والسرقة ، لكنه اجتهد في أن يثبت ابتكاره وزيادته في المعاني ، سواء عند التقائه بشياطين الشعراء

(٢١) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ج ١ / ص ٢٤٣ .

واحداً بعد الآخر ، أو عند حضوره مجلساً من مجالس الجن في تعاور الشعراء للمعاني .

فالغاية الأدبية عند ابن شهيد نفعية براجماتية ؛ لتحقيق طموحاته السياسية ، وقد سبب له ذلك خصومات وصراعات مع معاصريه يقول في حوار بينه وبين صاحب الجاحظ وعبد الحميد الكاتب: "وقد بلغنا أنك لا تجازي في أبناء جنسك ، ولا يمل من الطعن عليك والاعتراض لك ، فمن أشدهم عليك ؟ قلت : جاران دارهما صقب، وثالث نابته نوب ، فامتطى ظهر النوى ، وألقت به في سرقسطة العصا ، فقالا : إلى أبي محمد تشير وأبي القاسم وأبي بكر . قلت : أجل ، قالوا : فأين بلغت فيهم ؟ قلت : أما أبو محمد فانتضى على لسانه عند المستعين ، وساعدته زرافة قد استهواها من الحاسدين ، وبلغني ذلك فأنشدته شعراً :

وبلغت أقواماً تجيش صدورهم عليّ وإنني منهم فارغ الصدر
أصاخوا إلى قولي فأسمعت معجزاً وغاصوا على سري فأعياهم أمري
فقال فريق : ليس ذا الشعر شعره وقال فريق : أيمن الله ما ندري
وأما أبوبكر فاقتصر على قوله : له تابعة تؤيده . (٢٢) ، فهو لا يستعمل كلمة سرقة — التي اتهمه بها أعداؤه (٢٣) — وإنما يستعمل الأخذ ، ويقر مشروعيته ، الأمر الذي يفيد في هذا السياق رغبته في استمرار تلك الأنساق المتوارثة ،

(٢٢) المصدر السابق ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٤٤ ، وانظر : ابن شهيد (أبو عامر أحمد بن عبد الملك) : رسالة التوابع والزوابع ، تحقيق ودراسة : بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص ١٢٢-١٢٣ .
(٢٣) لابن شهيد أعداء كثيرون من معاصريه ، منهم : أبو عبد الله خالد بن يزيد الفرضي وزير يحيى بن علي بن حمود ، الذي هجاه ابن شهيد وذكر اشتغاله بالكيمياء (الذخيرة قسم ١ ج ١ ص ٢١٧ ، ٢٢٠) وأبوجعفر بن عباس وزير زهير الصقلبي الذي عاب بديهة ابن شهيد فهجاه على ذلك (الذخيرة ، السابق ، ص ٣٠٥-٣٠٧) ، وأبوجعفر بن فتح الذي تقرب إلى يحيى بن علي المعتلي ، وقدم إليه صديقه ابن الإقليلي دون ابن شهيد فهجاه على ذلك أيضاً (الذخيرة ، السابق ، ص ٢١٤ ، ويطرس البستاني : مقدمة التوابع والزوابع ، ص ٣٠-٣١) وقد صرح ابن شهيد بأسماء ثلاثة من أعدائه ومنتقدي أدبه ، هم : أبو محمد ، وأبو القاسم ، وأبوبكر ، وجاء نكرهم في رسالة التوابع والزوابع ص ١٢٣ ، والذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٣٠-٢٣١ ، ص ٢٤١-٢٤٢ ، ص ٢٧٣ .

في تفكيره الفني ، ومن ثم يبقى ارتباطه بالقديم ، وإن حور فيه أو أضاف إليه ، في إطار من التوظيف النفعي البراجماتي في توجهه .

(ب) المشاهد البيانية والوظيفة الأدبية في نصوصه .

يرتكز الأدب عند ابن شهيد في أداء وظيفته على تحريك المتلقي والتأثير فيه من منطلق مذهبه النفعي في توظيف إبداعه الأدبي والنقدي باسم الشعر مما يخطب العامة والخاصة بسؤاله، فيصادف منا حالة غير ذات فضلة ، لا تتسع له في كبير مبرة ، فنشاركه ونعتذر له، وربما أفدناه بأبيات يعتمد بها البقالين ومشخة القصابين فإذا قرعت أسماعهم ومازجت أفهامهم در حلبهم ، وانحلت عقدهم .. فلا يكاد البائس يستتم ذلك حتى يأتينا فيكب على أيدينا يقبلها راغباً في أن تكشف له السر الذي حرك العامة فبذلت ما عندها لهم .. وتعليمه ذلك النحو من أنحاء السحر لا نستطيعه ، لأن هذا الذي يريده منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب ، ولكل ضرب من الناس ضرب من الكلام ، ووجه من البيان ^(٢٤) .

يتجلى من هذا النص أن ابن شهيد يخلص إلى جملة من التوجهات البيانية والنقدية يمكن أن نعرضها في الآتي : —

— يتمثل هدف البيان لديه في تحريك المتلقي والتأثير فيه ، وعندئذ يترادف مع السحر، إذ لهذا الربط بين السحر والبيان أصوله التاريخية التي ترجع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحراً "، وهذه العلاقة التي بين كل من السحر والشعر يذكها ابن شهيد بالتخييل في مذهبه النقدي .

— إن البيان لدى ابن شهيد — كذلك — يمكن تعليمه ، وذلك لمن لديه طبعه ، حيث تأتي صعوبة البيان من تعدد ألوانه وفق التلقين ، إذ لكل ضرب من الناس ضرب من الكلام ووجه من البيان، فيقتصر تعليمه على النجباء فقط .

(٢٤) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥ م ، ج ٤ / ص ٢٣ ، ٢٤ .

ويشير إلى ضرورة هذه الفكرة وأهميتها بقوله: "وأصعب من هذا تحريك البخلاء من الكبراء إلى البذل ، لأنهم بعادتهم لا تمكن نقلتهم لعزتهم ، ولما اشتملت عليه ثياب مجدهم ، فلا ينجع تقريظهم ، فما هنا يحتاج إلى أنقب ما يكون من الذهن ، وأوسع ما يمكن من الحيلة ، إلا أن هذه العصابة لا يتمكن لذي التفاهة تحريكها ، ولابد لها من طبقة يكون لها في العين بعض التصويب والتصعيد ، ولهذا صار سبب الأشراف عسيراً عويصاً ، فإنك تجدهم يتدحرج عنهم قبيح المقال ، ولا يضعضعهم خبيث الكلام ، لقوة بيانهم ، وثبات أركانهم ، فهدم بنيان هؤلاء صعب" (٢٥) .

فهذا النص يكشف عن دلالات في صناعة البيان ، ومدى مشقتها تكون على قدر المتلقين ، فكلما علا قدرهم صعبت صناعة البيان الذي يخاطبهم ، وأن تحريك الكبراء يحتاج إلى أديب كبير ربما في المكانة العامة ، أو في المكانة الفنية على وجه الخصوص ، وبهذا يتجلى عنده المشهد البياني في التلقي والتخاطب لفئة دون غيرها طبقاً لتأهيلها في تعليمه وتلقيه .

— ينوه ابن شهيد إلى وجود فئة من المكدين يستطعمون باسم الشعر نتجت من جراء الفتنة والاضطراب في قرطبة في ذلك الوقت ، وترتب على وجودها كساد في سوق الأدب بشكل عام .

وقد كان لنصوصه أثر في احتدام ثورة خصومه الذين اتهموا أسلوبه في الكتابة ، ولذلك حرص على تبرير التزامه بهذه الكيفية من الاستعمال اللغوي ، في حين معرفته بعيوبها ودرايته بغيرها من طرائق التعبير ، ويظهر ذلك في حوارته مع صاحب الجاحظ الذي قال له: "إنك لخطيب ، وحائك للكلام مجيد ، لولا أنك مغري بالسجع وما في المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكني عدمت ببلدي فرسان الكلام ، ودهيت بغباوة أهل الزمان ، وبالحرأ أن أحركهم

بالازدواج ، ولو فرشت للكلام فيهم طوائفاً ، وتحركت لهم حركة مشولم ،
 لكان أرفع لي عندهم ، وأولج في نفوسهم ، فقال: أهذا على تلك المناظير ،
 وكبر تلك المحابر ، وكمال تلك الطيالس ؟ فقلت: نعم إنها لحاء الشجر ،
 وليس ثم ثمر ولا عبق ، قال لي: صدقت إني أراك قد ماثلت ، قلت: كما سمعت ،
 قال: فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت: ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه
 طريق ، ولا للبيان عليه سمة ، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية
 المجوس والنبط ! فصاح إنا لله ذهب العرب وكلامها ، ارمهم يا هذا بسجع
 الكهان ، فعسى أن ينفعك عندهم ، ويطير لك ذكر فيهم ، وما أراك مع ذلك
 إلا ثقيل الوطأة عليهم ، كربه المجيء إليهم " (٢٦) .

نفوح من هذا النص إشارات التقارب الدلالي بين رؤية ابن شهيد ورؤية
 الجاحظ لتجليات البيان ومفهومه ، مع الإصرار على مذهبه وتوجهه
 البراجماتي النفعي للوظيفة الأدبية بين معاصريه ، حتى ولو كان ذلك على
 حساب القيم الفنية ، إذ الأدب عنه — في ضوء نصوصه — وسيلة يخاطب بها
 الآخرين ، ويطلب لديهم الرواج والذكر .

كما تتجلى معرفته بالمماثلة والمقابلة ومدى أثرهما البديعي على النصوص
 الأدبية ، لكنه أثر السجع والتزمه ، مع اعترافه بأنه ليس بالنضج الفني الذي
 يرتضي ، ربما لأنه على المستوى الفني لا يحقق نثرية النثر وتميزه عن الشعر
 ، وعلى المستوى الاجتماعي ربما كان السجع يليق بمرحلة من الحضارة أقل
 تقدماً ؛ لأنه منسوب — على مستوى الفكر العربي — إلى الكهان ، يسهم
 بإيقاعاته في إثارة الجو الأسطوري ، وكأن أهل الأندلس في وقته في مرحلة
 حضارية تماثل الجاهلية كابتداء للسير الحضاري ، ومع ذلك فقد اضطر ابن
 شهيد إلى استعمال السجع ليوائم معاصريه ، مع أنه يكره طريقتهم ، ويميل

(٢٦) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع ، ص ١١٦-١١٧ .

إلى غيرها مما يشيع لدى المشاركة، إلى جانب الحالة السيئة للعروبة التي كانت عليها الأندلس ، لدرجة كاد فيها معاصروه أن يفقدوا لسانهم العربي .
وقد تماثل رأي ابن شهيد في البيان مع رأي الجاحظ في أنه لا يعني به مجرد الإفهام ، ولكنه الإفهام على مجرى كلام العرب الفصحاء ، لا الملحون المعدول عن جهته ، لأنه " من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغراق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيان " (٢٧) .

على هذه الشاكلة من نصوص ابن شهيد يتجلى طبعه الذاتي وتوجهه النقدي في إبداعها ، إذ إنه لا يفصل بين الأدب وبين ذاته ؛ لأنه اتخذها وسيلة لتحقيق طموحه السياسي ، كما أنه قد تجلت مشاهدته البيانية في نصوصه من كون البيان يمكن تعليمه وقصره على النجباء ؛ لأنه يحدده بالإفهام على مجرى كلام العرب الفصحاء لا الملحون أو المعدول ، ويتنامى عنده هذا المفهوم من استدعاء شخصية الجاحظ لفكره كحيلة فنية لمحاكمة معاصريه الأندلسيين .

المبحث الثاني : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل النقد الفني

يعالج هذا المبحث توجهات ابن شهيد في مكونات النص الأدبي بما يحمل من ألفاظ ومعان تتشكل على إثرها جماليته ، وتتكشف رؤيته الجمالية ومبادئه في إدراك جماليات النص من خلال ما يلي :-

(أ) مبدأ التناسب والانسجام في نقد الشعر

إذا كانت أروع صور البيان هي التي تم فيها التوفيق بين الفكرة الصعبة ومائية الشكل ، فإن مهمة الناقد الأدبي تتجلى في الكشف عن هذا التلاؤم وتمييزه من سائر مراتب الصناعة ، تلك التي يكشف عنها ابن شهيد ، ويصور مهمة الناقد وطبيعة الشعر بأنها صور مستمدة من طبيعة المباني

(٢٧) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١/ص ٦١ .

الأندلسية حيناً ، ومن جوها حيناً آخر ، فينص على أن الناقد يجب ألا يستهويه الشكل وينسيه التفتيش عن المعنى ، " فقد ترى الشعر فضي البشرة وهو رصاصي المكسر ، ذا ثوب معضد أو مهلهل ، وهو مشتمل على بهق أو برص ، مبنياً بلبن التماثيل وصفوان التهاويل ، وهو لا يجن صاحبه عن النسيم فضلاً عن الحرجف ، ولا يقيه رقيق الندى فضلاً عن شؤبوب الكنهور " (٢٨).

ويرجع ابن شهيد الجمال في النص الأدبي إلى مبدأ التناسب والانسجام في حقول النص ، وإلى الترابط المتين بين أبنيته الشكلية والمعنوية ، يقول: " إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات فإذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب طابت الألفة ، وحسنت الصحة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر " (٢٩) .

فالجمال الفني في النص — عند ابن شهيد — يتمثل في الشكل المركب من هذه الأجزاء المتناسبة ، وقد أشار أفلوطين إلى هذه الوجهة التناسبية المحققة للجمال في النص أو الأشياء ، فيرى أن الجمال في الأشياء المحسوسة المنظورة يوجد حيث يوجد التناسب بين الأجزاء ، وعند من يقولون بهذه النظرية لا يوجد جمال في الشيء البسيط بل في المركب ذي التناسب والمقاييس ، ولا يوجد في الجزء بل في الكل ، فالأجزاء لا تكون جميلة إلا بقدر مساهمتها في بعث الجمال في الكل ، غير أنه يترتب على هذا أنه لا بد أن تكون أجزاء الشيء الجميل جميلة ، إذ لا يمكن أن يكون الكل الجميل مركباً من أجزاء قبيحة ، ولا بد أن يشمل جمال الكل الأجزاء أيضاً ، ولكن هناك عناصر بسيطة فيها جمال مثل الصوت أو اللون أو شعاع الشمس ، فأين التناسب في هذه الأشياء ، ولو صح الجمال في التناسب فقط ، فأين نجده إذن

(٢٨) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ ص ٢٦٦ ، الحرجف : الريح الشديدة ، والكنهور : السحاب .

(٢٩) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

حين يكون في المعاني ، أو الأشياء المعنوية مثل النوايا والقوانين والتعاليم ؟ أو في الفضائل ؟ ثم ألا يمكن أن تجد تناسباً وانسجماً بين الأشياء القبيحة " (٣٠)

فابن شهيد يجعل التناسب والانسجام معيارين في تحقيق جمال النص الشعري

تتحقق من جراء حسن المجاورة والممازجة بين الألفاظ والمعاني المكونة لأجزائه في نسقه العام .

(ب) مصادر الجمال في مذهب النقدي

يُرجع ابن شهيد الجمال في رؤاه النقدية إلى مبدأ الروحانية المؤثرة في التناسب الذي يعد سر الجمال في الشعر ، ويفسر ابن شهيد هذه الفلسفة في توجهه النقدي ، فيبين أن من تغلب نفسه على جسمه كان مطبوعاً روحانياً فتجيء الصور عنه في أجمل هيئة ، وأما الآخر الذي يستولي جسمه على روحه فإن صور الكلام تتكون لديه ناقصة ، " ومقدار طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه " (٣١) .

وعلى هذا يعد ابن شهيد النفس مصدراً للجمال بما تتضمن من روحانيات تشكل طبيعة النفس وتسمو على العنصر الجسدي ، يقول: " فمن كانت نفسه المستولية على جسمه ، فقد تأتي منه في حسن النظام ، صور رائقة من الكلام ، تملأ القلوب وتشغف النفوس ، فإذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أسأ لم تعرفه ، وهذا هو الغريب ، أن يتركب الحسن من غير حسن ، كقول امرئ القيس :

تورثها من أذرع وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي

(٣٠) د/ أميرة مطر : في فلسفة الجمال ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١١٣-١١٤ .

(٣١) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٧ .

فإن هذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده ، وكقول أبي نواس :

رحتم من الترحال ذكراً فغمنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا
ثم قال فيها: سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواك لعل الفضل يجمع
بيننا

فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذي لو رامه حمار الكساح لأدركه ، ولكن له من التعلق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى " (٣٢) .

فابن شهيد في ذلك التوجه يرى أن فكرة تركيب الحسن من غير حسن ، تعطي الأهمية للتركيب الذي تتفاعل فيه المكونات ، وتأخذ منه الوحدة والنسق — ولكن عدم اشتراط حسن الأجزاء يتنافى مع ما أشار إليه أفلوطين من أنه لا بد أن تكون أجزاء الشيء الجميل جميلة ، إذ لا يمكن أن يكون الكل الجميل مركباً من أجزاء قبيحة — فضلاً عن أن هذه الفكرة قد تتحل إلى العلاقة بين الشكل والمضمون ، كما في تعليقه على بيت امرئ القيس السابق بقوله " فإن هذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده " ، وكذلك تعليقه على بيت أبي نواس ، الذي ينظر إلى قوة تأثيره في النفس مع ما يتبدى من سوء لفظه .

وفي إشارته إلى فكرة صدور الجمال عن النفس التي قد تتلقى الإلهام من قوى خفية يمكن مقارنتها بأشياء من فلسفة أفلوطين ، الذي يقول : " فالجمال المحسوس الظاهر مرجعه إلى فكرة باطنة .. ولأن النفس إلهية ، ولأنها جزء من الجمال ، فإنها تجعل كل ما تمسه وتسيطر عليه جميلاً ، على الأقل في حدود قدرة الشيء على تلقي الجمال " (٣٣) .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٣٣) د/ أميرة مطر : في فلسفة الجمال ، ص ١١٧ .

ولعل أهم خداع تتبّه له ابن شهيد هو الخداع العاطفي ، حيث تضطرم نار الجوى ، ويلمع البرق ، ويستن الودق ، وتسفح الدموع ، والكلام في حقيقته كسراب بقية ، فالفنان في رأيه هو الذي " يتصرف تصرف الملح ، ويتلون تلون أبي براقش " (٣٤) ، فابن شهيد يشير إلى القدرة على القريض رغم تنوع الموضوع ، فيبقى نظم الشاعر عالقاً بفحوى جماليته في أذهان الناس وقلوبهم

وابن شهيد يرصد — في ضوء ما سبق — تطور الذوق الجمالي ، ولكنه يدعو إلى الاعتدال في التجنيس ، وإلى التوفيق بين طريقة العرب وطريقة المحدثين ، مع إيمانه بانتقال العادة مع الزمن ، وقد يكون في هذا التوجه طرف من التناقض ، إذ ما دامت الأنواق هي التي تأخذ وتدع ، فكيف يمكن توجيه الذوق الذي أخذ

يفتن بالإكثار من التجنيس إلى التوسط والاعتدال ؟

غير أن الذي يمكن أن نتفق عليه هو أن ابن شهيد كان ثانياً لابن طباطبا في وضع مفهوم للجمال الفني ، وربما لم يبلغ أي ناقد أندلسي مبلغه في إرهاف الذوق والإحساس بالجمال الفني ، وقد اتخذ من شاعريته وسيلة للتعبير عن آرائه النقدية بطريق التصوير ، وأرجع مصدر الجمال بكل تصوراته إلى الجانب الروحاني النفسي الذي يعتمد الذوق السليم معياراً في تلقي الشعر ونقده

(ج) لغة الأدب وطبقات صناع البيان

(١) لغة الأدب :

ذكر ابن شهيد شروطاً للغة الأدب تكاد تتدرج تحت شروط الفصاحة ، فيقول في إثرها : " وللعبوبة إذا طلبت والفصاحة إذا التمسست ، قوانين من

(٣٤) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج / ١ ص ٢٦٦ .

الكلام ، من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر .. وكما تختار مليح اللفظ ، ورشيق الكلام ، فذلك يجب أن تختار مليح النحو ، وفصيح الغريب ، وتهرب عن قبيحه" (٣٥) .

تشتمل رؤية ابن شهيد للغة الأدب — طبقاً لنصه المذكور — على مبدأ الاختيار من إمكانات اللغة ، وهو توجه أسلوبى من شأنه أن يكسب صاحبه أسلوباً متميزاً ومغائراً لتوجهات الآخرين في منحاهم الأسلوبى ، هذا المبدأ ينحو حيال السهولة والارتقاء إلى الأنسب والأليق والأملح على حد قول ابن شهيد ، وإن كان يستعمل وحشي الكلام مع وضعه في موضعه .

وقد أشار الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن محاولة البحث عن قوانين للفصاحة تنبّه إلى إدراك موضوعي للجمال ، يختلف عن الإدراك الذاتى له (٣٦) ، إذ يرجع الأمر فيه إلى النفس .

ويندرج تحت هذا الموقف الموضوعي من إدراك الجمال تحليل ابن شهيد للبيان أو الأدب على ضوء العلاقة بين الألفاظ والمعاني ، أو ما يسمى بقضية

اللفظ والمعنى ، ويلاحظ أنه يأخذ في البداية جانب المعنى ، يقول: "ومن الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام ، ويفتش عن شرف المعاني ، وينظر مواقع البيان ، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ ، ويدع تزويق التركيب ، ويراطل بين أنحاء البديع ، ويمثل أشخاص الصناعة ... ، وإنما يستحق اسم الصناعة بتقّم بحور البيان ، وتعمد كرائم المعاني والكلام ، وأن ينطق بالفصل ، ويركب أثباح الجد ، ويطلب النادرة والساثرة ، وينظم من الحكم ما يبقى بعد موته ، ويذكر بعد فوته" (٣٧) .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣٦) انظر: د/ عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية للنقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،

١٩٧٤م ، ص ٦٧ .

(٣٧) ابن بسام: الذخيرة ، قسم ١/ج ٣١٠-٣١١ .

فابن شهيد يؤكد أن الصياغة الطلية قد تخدع عن حقيقة العمل الفني ، كما أن تحري القيمة الحقيقية للأعمال الفنية يتمثل في الكشف عن عناصر الصناعة ، وأن الصناعة الحقّة تكون في تعمد كرائم المعاني والكلام ، فهو يجعلها في جانب المعنى دون الشكل اللفظي الذي يحذر من الانخداع به .

ويتقارب مع هذه الرؤية — في النظر إلى مزية المعاني — ابن شرف القيرواني حين قال : " من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ، ويرد على السامع منه قعاقع ، فلا ترعك شماخة مبناه ، وانظر إلى ما في سكناه من معنى ، فإن كان في البيت ساكن ، فتلك المحاسن ، وإن كان خالياً فاعدده جسماً بالياً ، وكذلك إذا سمعت ألفاظاً مستعملة ، وكلمات مبتذلة ، فلا تعجل باستضعافها ، حتى ترى ما في أضعافها .. والمعاني هي الأرواح ، والألفاظ هي الأشباح ، فإن حسنا فذلك الحظ الممدوح ، وإن قبح أحدهما فلا يكن الروح " (٣٨) .

وكما أخذ المعنى عناية ابن شهيد ، كذلك ارتبط به دعوته إلى استيفاء الوصف ، واستقصائه من جميع جوانبه ، ويستشهد على ذلك قائلًا : " ومما يلزم المدعي لصناعة الكلام إذا اعتمد الوصف حالة أن يستوفي جميعها ، ويكون ما يطلبه من الإبداع والاختراع منها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ،

وأفخم للمتكلم به ، وأدل على أن الكلام له ومن تأليفه ... " (٣٩) .

فيرى ابن شهيد أنه من الضروري النفاذ إلى الهدف المقصود ، لا الدوران حوله ، ويكون الإبداع والاختراع منحصراً فيه لا خارجاً عنه ، ويكشفها الرأي — كذلك — عن تغير في الذوق الفني ، يتمثل في إمكان البدء بغرض القصيدة مباشرة ، دون اللجوء إلى مقدمة غزلية أو طلية ، إذ يرصد في

(٣٨) ابن شرف القيرواني (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد) : رسائل الانتقاد ، ضمن رسائل البلغاء ، اعلام الكلام ، جمع : كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩١٣ م ، ص ٣٨٣٧ .
(٣٩) ابن يسام : الذخيرة ، قسم ١ / ص ٣١٨-٣١٩ .

رؤيته جدلية إبقاء المقدمة أو إلغائها بقصد النفاذ إلى هدف القصيدة ، ويصل في النهاية إلى ترجيح إلغائها .

(٢) طبقات صناع البيان :

يخلص ابن شهيد إلى أن البيان قد يعلم ، ولكن ليس الذي يقوم بتعليمه طبقة معلمي اللغة ، لأنهم في رأيه " يرجعون إلى فطن حمئة ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في أنوار البيان " (٤٠) .

ولعل هذه الحملة على اللغويين قد تولدت من الخصومة المحتدمة معهم ، وما وجهوا إليه من تهم في أسلوبه وكتاباتهِ وسجعه ، وعابوا عليه أخذه من المحدثين ، وهاجموه في أدبه ورسائله ، فكان أن واجههم بالهجوم السافر ، وعنفهم لاعتقادهم أن بضاعتهم وسيلة لتعليم البيان ، وخص منهم ابن الإفليبي شارح ديوان المتنبي .

وتأتي طبقات أصحاب صنعة البيان عند ابن شهيد في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قسم يخترع المعاني ، ويعرف جيد الألفاظ ، ولكن توفيقه بينهما يعتمد على كدّ القريحة ، وقد يجيد في المقطعات والقصار ، ولكنه يعجز عن " بهاء البهجة " وشرف المنزلة .

القسم الثاني : قسم ماهر في التفتيق والحيلة ، فهو يغطي بذلك على نقص الفكرة ، ويستجلب الرضى المؤقت من معاصريه .

القسم الثالث : قسم هم أصحاب الحدة البيانية الذين يبنون الكلام على الاندفاع

والانصباب مع التوفيق التام بين الفكرة الصعبة ومائية الشكل ، والواحد منهم " كاللقوة في المرقب ، سام نظره قد ضم جناحيه ووقف على مخبله ، لا تتاح

(٤٠) السابق ، ص ٢٠٥ .

له جارحة إلا اقتنصها ، ولا تنازله طائرة إلا اختطفها ، جرأته كشفرتة ، وبديته كفكرته ^(٤١) .

ومن خرج عن هذه الفئات الثلاث فلا يدخل في صناعة الكلام في مذهب ابن شهيد ، حيث يرتكز على القسم الثالث المعني بشكل كبير ببناء الكلام وصنعتة ، إذ تنظر تلك الفئة إلى القطعة الفنية وتحكم على الشاعر من خلالها ، وتتمتع تلك القطعة الفنية — في نظر ابن شهيد — بقوة الانصباب ، وتوفيق في انسجام تام بين الفكرة والشكل ، وتلك معاني الآخرين في مزيج خفي ، وتقتص كل ما يتاح لها ، وتتساوى جودتها في حالتي البديهة والفكرة .

هكذا تجلت رؤية ابن شهيد في توجهاته النقدية والبيانية حول مبدأ التناسب والانسجام ومصادر الجمال في مذهبه ، مع التركيز والإلحاح على فكرة انتصار المعاني في بناء الشعر ، واهتمامه — كذلك — بطبقات الصنعة البيانية ، وتمجيده للبديهة لكونها عنده محكاً لجودة النص وإبداعه .

المبحث الثالث : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل القديم والحديث

يعالج هذا المبحث توجهات ابن شهيد النقدية والبلاغية في ثنائية القديم والحديث — في ضوء رسالته (التوابع والزوابع) — فالرسالة رحلة في الزمن ينتقل فيها الشاعر بين الماضي ، حيث التراث الأدبي العربي ، والحاضر حيث يوجد معاصرو الشاعر . وهذا الطابع الزمني للرحلة يتفق مع عدم القدرة على تحديد موقع لبلاد الجن تحديداً أرضياً في بلاد الأندلس حيث يعيش الشاعر ، ففكرة شياطين الشعر وسكانهم لديار بعينها مثل وبار وعبقر فكرة مشرقية ، بالإضافة إلى وحدة التراث الأدبي العربي ، الذي يصعب معه التمييز الإقليمي القائم على أساس المكان .

(٤١) انظر : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

كما يتفق مع فهم علاقة الأندلس بالمشرق علي أساس من الزمن في الغالب ، ويتشكل موقفه في هذه المسألة من خلال الملامح الآتية :-

(أ) مسألة الأخذ والتوليد في الشعر

(١) أخذ الشعراء للمعاني :

يعرض ابن شهيد في رسالته (التوابع والزوابع) فكرة الأخذ والتوليد الشعري ، حيث يقدم أروع نتاجه ، ويتهم بمن كان يكايده من أهل قرطبة ، وقد ذكر ابن بسام قطعاً متفرقة منها في الذخيرة ، إذ تعتمد الفكرة القديمة في أن لكل شاعر تابعاً من الجن يلهمه الشعر ، ولكن ابن شهيد قد أبطل المعتقد السائد الذي وضعه المرزوقي في أن النثر والشعر لا يتفقان على درجة واحدة من الجودة لشخص واحد ، ولذا عرض ابن شهيد شعره على قدامى الفحول حين زار ديار الجن مثل امرئ القيس وطرفة وقيس بن الخطيم ، وكبار المحدثين مثل أبي نواس وأبي الطيب ، فكل أجازته وشهد له بالإجادة ، ثم عرض نثره على تابعي الجاحظ وعبد الحميد فأجازاه كذلك ، فاستوت له التقدمة في الصناعتين .

وفي قطعة من الرسالة أن أبا عامر (ابن شهيد) تذاكر في مجلس من مجالس الجن أخذ الشعراء للمعاني وتداولهم لها ، فأنشد بعضهم المعنى الذي جاء به النابغة وغيره :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهدي بعصائب

وهو معنى تردد في كتب النقد المشرقية ، وتعاوره أبو نواس ومسلم وأبو تمام والمتنبي ، فأخذ القوم يتجادلون ليقروا أيهم يفوز بقصبي السبق) وهي طريقة من القدرة على تتبع المعنى الواحد المسروق) ، ثم تذاكروا المعاني العقم ، فكان منها قول امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

وكيف أخذه عمر بن أبي ربيعة فأساء ، وكيف أن ابن شهيد مر بشيخ يعلم بنياً له صناعة الشعر وهو ينصحه بقوله : " إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك

فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن ؛ لتشط طبيعتك ، وتقوى منك (٤٢) .

فهذه نصيحة عرفها المشاركة ، وحاول ابن شهيد أخذ ذلك المعنى متعظاً بنصيحة الشيخ ، وفي ذلك النص دلالة على اهتمام ابن شهيد بوضع قاعدة نقدية مقبولة للأخذ .

(٢) عروبة ابن شهيد :

تشكل عروبة ابن شهيد مقوماً من مقومات شخصيته في مجتمع يستمد تميزه من اعترازه بها وبإسلامه ، ولذا نجده حريصاً على أشجعيته ، فيجعل تابعه من أشجع الجن امتداداً بقبليته لتنظيم العالمين الإنس والجن ، مثلما امتدت قبيلته من المشرق العربي لتوجد في المغرب الإسلامي ، وليؤكد أصالته وجدارته بالبقاء ، فهو القائل :-

وما طاب في هذه البرية آخر إذا هو لم ينجد بطيب الأوائل (٤٣)

ولتكون هذه الخاصية أساساً من أسس تفكيره ، يتمثل في مواجهة الحاضر بناء على أنساق سابقة مستمدة من الماضي .

(ب) مذهبه في الانتصار لعمود الشعر العربي

يؤكد ابن شهيد أولاً انتصاره لطريقة البحري ، الذي عده النقاد ممثلاً لطريقة العرب الأوائل (٤٤) وسننهم في قول الشعر ، على حين يتحامل على

(٤٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٤٤ .

(٤٣) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ١١٣ .

(٤٤) الأمدى (أبو القاسم الحسن بن بشر) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م ، ج ١ / ص ٤ - ٥ ، وقد ذكر ابن حيان عن شعر ابن شهيد : (وشعره حسن عند أهل النقد تصرف فيه المطبوعين فلم يقصر عن غايتهم) ابن بسام : الذخيرة قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢ .

أبي تمام ، الذي يرتبط في نظر النقاد بالخروج على عمود الشعر ^(٤٥) ، وطريقة العرب في النظم والذوق الفني ، ويدور بينه وبين تابعه أبي تمام ، الحوار التالي (فقلت : وما الذي أسكنك قعر هذا العين يا عتاب ؟ قال : حياتي من التحسن باسم الشعر وأنا لا أحسنه ، فصحت : ويللي منه ، كلام محدث ورب الكعبة) ^(٤٦) . ويلاحظ عليه أنه يوظف الحيلة الفنية التي تجعل من تابعه أبي تمام جنياً يسكن قعر بئر . للتعبير عن موقف نقدي إزاء أبي تمام ^(٤٧) . ثم يحدث مفارقة في القول علي لسان كل منهما لتشير إلي تقنيات المحدثين لدى أبي تمام ، ومنها الجناس ، وإلى مدى تمسك ابن شهيد بالأنماط الفنية القديمة في التعبير ، التي منها استعمال القسم القديم (ورب الكعبة) .

أما صاحب البحري فهو (فتى على فرس أشعل، وبيده قناة، له قصر عظيم قدامه ناورد يتطاير فيه فرسان) ^(٤٨)، يذكرونا بإيوان كسرى في سينيته المشهورة، ويجعل كنيته مشيرة إلى مذهبه، فيكنيه بأبي الطبع، ويقول عنه (إنه لمن أساتيزي)، ويقول له (إنك مؤتمناً)، ويلاحظ أنه لم يضع نماذج محددة من شعر أبي تمام ليقوم بمحاكاتها، وإنما قدم ما يثبت له القدرة على تقليد مذهبه بعامة ، يعينه على ذلك تميز أبي تمام بطريقة واضحة، تعد في نظر النقاد

(٤٥) الأمدي : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٤٦) ابن شهيد : رسالة التوايع والزوايع . ص ٩٨ .

(٤٧) وينقل ابن بسام عن ابن شهيد أن مذهب أبي تمام سمة من سمات العصر ، ولكنه لا يقبله علي علاقته ، فالتوسط في الصناعة أفضل يقول : (وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب أهله ، فكان من صريع الغواني ويشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان من استعمال أفانيته والزيادة في تفريغ فنونه ، ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس، وخرج عن العادة ، وطاب ذلك منه ، وامتثلته الناس ، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيساً أو ما يشبه تمجيد الآذان والتوسط في الأمر أعدل ، ولذلك فضل أهل البصرة صريع الغواني علي أبي تمام لأنه ليس ببياجة المحدثين علي لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب) . ابن بسام : الذخيرة قسم ١ ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ . ويلاحظ أنه لا يدرك من سر صناعته سوى التجنيس ويفضل عليه مسلم بن الوليد . وقد فعل ذلك من قبل الأمدي قائلا : (لأنه ينحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه) . الأمدي : الموازنة ج ١/ ص ٥ .

(٤٨) ابن شهيد : رسالة التوايع والزوايع . ص ١٠٢ .

القدماء بالقياس إلى الشعر العربي بمثابة الاستثناء للقاعدة ، من ذلك قول ابن شهيد :

إني امرؤ لعب الزمان بهمتي وسقيت من كأس الخطوب دهاقها
وكبوت طرفاً في العلا فاستضحكت حمر الأنام فما تريم نهاقها
وإذا ارتمت نحوي المنى لأناها وقف الزمان لها هناك فعاقها
وإذا أبو يحيى تأخر نفسه فمتى أو مل في الزمان لحاقها

الذي يحاول به محاكاة أبي تمام عن طريق التشخيص المتكرر للزمان ، واستعمال أدوات البديع: كالجناس والمطابقة ، وكذلك قوله في الرثاء الذي يعتمد على الاستعارة في تشكيل الصورة الفنية :

هوى قمرأ قيس عيلان أنفاً وأوحش من كلب مكان زعيم
فكيف لقائي الحادثات إذا سطت وقد فل سيفي منهم وعزيمي
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجت وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
(٤٩)

لكنه يضع من شعر البحري نماذج بعينها ، ليقوم بمحاكاتها أو معارضتها ، وذلك لأن شعره يندرج تحت القاعدة المشار إليها آنفاً، ويمثل طريقة العرب جميعاً، وهذه يصعب تمييز ألوانها ، ويسهل عد نماذجها ، فيعارض قصيدة البحري :

ما على الركب من وقوف الركاب في مغاني الصبا ورسم التصابي
بقصيدة مطلعها: هذه دار زينب والرباب. ولذلك نلمح تشابهاً في معان جزئية بين القصيدتين ، فإذا قال البحري في ممدوحه :

ورأت عند غيرهم من مديحي مثل ما كان عندهم من عتابي
ليس من غلبة عليهم ولكن هو نجم يعلو مع الكتاب

(٤٩) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ١٠٠ .

التصافي وأسرة الآداب (٥٠)

شيعة السؤدد الغريب وأخوان

فابن شهيد يقول عن نفسه :

جع في السر من لباب اللباب

من شهيد في سرها ثم من أشـ

وأعريب في متون عراب

خطباء الأنام إن عن خطب

أشرقت للعيون من آدابي

وكان النجوم لما هدتهم

فكرة المدح بالكتابة والآداب لدى البحتري ، نجدها لدى ابن شهيد في الفخر ، وفي هذا تحقيق لما أشار إليه ابن شهيد من إمكان الإفادة بالمعاني السابقة مع تغيير معرضها (٥١) ، تعين عليه قرابة بين الفخر والمديح في تراثنا النقدي (٥٢) . وإذا قال البحتري في ممدوحه وذكر حال معاصريه السيئة :

صعبة العيش في المساعي الصعاب

ترك الخفض للدنى وقاسى

أولوهم إلا غداة سباب

صننتي عن معاشر لا يسمى

رعة المجد في غداة ضباب (٥٣)

أخطأوا المكرمات والتمسوا قا

قال ابن شهيد عن ظلم الدنيا له وغدر أبناء زمانه :

لم تكن طعمة لفرس الكلاب

ولو أن الدنيا كريمة نجر

قل ما حملته في ثيابي

وإذا ما نظرت ما حاز غيري

من بني دهرها فراخ الذئاب (٥٤)

جيفة انتنت فطار إليها

وإن كان الحديث عن الدنيا لدى البحتري يرد في معرض تفضيل ممدوحه على معاصريه ، فإنه لدى ابن شهيد خلاصة تجربة حياتية ومزاج نفسي

(٥٠) (البحتري) (أبو عبادة الوليد بن عبيد) : ديوان البحتري ، تحقيق وشرح وتعليق : حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م ج١/ص ٨٣ .

(٥١) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع . ص ١٣٥ .

(٥٢) د. عبد الفتاح عثمان : نظرية الشعر في النقد العربي ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٥٥ .

(٥٣) البحتري: ديوان البحتري ، ج١ / ص ٨٦ .

(٥٤) ابن شهيد : ديوانه ص ٨٦ والتوابع والزوابع ص ١٠٤ .

ورأي مستقر يتكرر في شعره ^(٥٥) ، مما يجعل ربطه بتجربة المتنبي أولى وأقرب ، كما فعل ابن شهيد عندما أنشد من هذا الغرض بين يدي شيطان المتنبي ^(٥٦) .

وبهذا ينتصر ابن شهيد في معرض تلك الرؤى النقدية وتوجهاتها لمسألة عمود الشعر التي انتهجها الذوق العربي في نظم الشعر وقرضه .

(ج) مسألة القياس على الشعراء المشاركة :

يعد القياس الشعري على أهل المشرق امتداداً لانتصار ابن شهيد لفكرة عمود الشعر وطريقة العرب في نظمه ، لذا تعددت متابعاته للمشاركة لتشير إلى دلالات أخرى تتصل بموقفه النقدي . منها وجوب تمثل الشعر المشرقي ، واعتباره القدوة أو النموذج المحاكي ، وفي ذلك الحل الأمثل لمشكلة الشاعر الأندلسي ، أو أن القيمة الفنية للشاعر الأندلسي لا تتحدد إلا بالقياس على الشعراء المشاركة ، أما الشعراء الأندلسيون فيلاحظ أن ابن شهيد قد استبعدهم تماماً من رسالته ، فربما اكتفى بنفسه ممثلاً لهم ليشير مشكلة الشاعر الأندلسي في محاولته التجديد ، وفي علاقته بالتراث العربي ، أو لأنه لا يرى غير نفسه شاعراً أندلسياً يمكن أن يقارن بالشعراء المشاركة ، ولكنه — على أية حال — دليل على غياب الشعراء الأندلسيين من ذاكرة ابن شهيد وقت إبداع الرسالة ، وعلى وحدة التراث العربي ، الذي يتجدي فكرة الإقليمية ، وتصح فيه الرحلة التي تأخذ طابعاً زمنياً لا طابعاً مكانياً في الغالب فلا يكاد يذكر بوصفه فاصلاً أو حداً في هذه الرسالة .

وبعد أن تحدد موقفه الفني من خلال لقائه بالبحثري وأبي تمام ، يلتقي بشعراء ترتبط أشعارهم بحيوانهم ارتباطاً وثيقاً ، ليشير إلى مدى إفادته من تجربة كل

^(٥٥) ابن شهيد : ديوانه ص ٨٣ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

^(٥٦) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع . ص ١١٢ - ١١٣ .

واحد منهم ، ويشير بالتالي إلى مدى إسهامها في تشكيل رؤيته كشاعر ، بعد أن اتضح لنا أنه من خلال التقائه بالبحثري وأبي تمام .
فامرؤ القيس — في رؤيته له — فارس يلهب فرسه ضرباً بالسوط ، وصاحب أطلال (بسقط اللوى بين الدخول فحومل) ، ومغامرات مع النساء (يوم دارة جلجل) ، ويعارضه بهذه الأبيات :-

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها	تزل بها ريح الصبا فتحدر
تكلفتها والليل قد جاش بحرته	وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضني أبيض ذو سفاسق	وفي الكف من عسالة الخط أسمر
هما صاحباي من لدن كنت يافعاً	مقيلان من جد الفتى حين يعثر
فذا جدول في الغمد تسقى به المنى	وذا غصن في الكف يجني

فيثمر (٥٧)

ويلاحظ أنها حديث عن مغامرة من مغامرات الصبوة التي رائدها امرؤ القيس ، وفيها يتقوى المغامر بسلاحه كما فعل امرؤ القيس لقوله :

أبقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٥٨)
وتتم في ظلام ليل كموج البحر ، وفي قصيدة ابن شهيد حديث عن المحبوبة الممنعة بقومها وأسيافهم يقول :

وأخري اعتقلنا دونهن ودونها	قصور وحجاب ووال ومعشر
إذا رامها ذو حاجة صد وجهه	ظبا الباترات والوشيج المكسر (٥٩)

مما يمكن أن نجد لها صورة في قصيدة امرئ القيس : (سمالك شوق بعدما كان أقصرأ) (٦٠) التي يضع ابن شهيد قصيدته بإزائها ، ومنها قوله :

بعيني ظعن الحي لما تحملوا
لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا

(٥٧) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ٩٢ - ٩٣ .

(٥٨) امرؤ القيس (ابن حجر الكندي) : الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٣٣ .

(٥٩) ابن شهيد : ديوانه ص ١٠٧ .

(٦٠) امرؤ القيس : ديوانه ص ٥٦ - ٥٧ .

فشبّهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفيناً مقيرا
سوامق جبار أثيث فروعه وعالين قنواناً من البسر أحمر
حمته بنو الربداء من آل يامن بأسيافهم حتى أقر وأقروا
ولعل ابن شهيد قد وجد في حماسية قيس بن الخطيم :

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
التي يذكر فيها كيف ثار لوالده بطعنة نافذة ، ويشكر ابن عمرو بن عامر الذي
ساعده على الثأر ، ويفخر بنفسه ما يفيد في التعبير عن موقفه من أعدائه
وفخره بنفسه وعن مساعدة أبي مروان له (٦١) .

ولعل أبا نواس والمتنبي هما أقرب الشعراء إلى نفس ابن شهيد وأكثرهم
تأثيراً في تشكيل رؤيته ، وذلك لارتباط شعر كل منهما بحياته ، حتى يمكن
أن نرى في شعر كل واحد منهما صورة لحياته ، تفسر هذا الشعر (٦٢) بخلاف
البحثري وأبي تمام، فهما من نمط الشعراء الفنانين الذين تتباعد أشعارهم عن حيواتهم (٦٣) ،
ويتضح لنا هذا من تصريحه بالاعتزاز بهما ، ومن إطالة الحوار معهما ، ومن كثرة ما
أورده من أشعاهما وكثرة ما أنشده بين يديهما .

مسلّس	الشاعر	المختارات	الآبيات
١	امرؤ القيس	٢	٦
٢	طرفة بن العبد	٢	١٤
٣	قيس بن الخطيم	٢	١١
٤	أبو تمام	٦	٢٦
٥	البحثري	٣	١٣
٦	أبو نواس	٧	٣٤
٧	المتنبي	٣	٢٦

وكان أبو نواس أكثر من أنشد أمام ابن شهيد من شعره ، فمجموع ما أنشده
ثلاث مختارات ، تشمل ستة أبيات في حين لم يشر إلى شيء من شعر أبي
تمام والمتنبي ، وذكر أنصاف أبيات من مطالع سائر الشعراء ، ما عدا قيس

(٦١) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ٩٧ .

(٦٢) محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ص ٣٣٤ .

(٦٣) محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ص ٣٣٤ .

ابن الخطيم الذي ذكر له بيتاً كاملاً . ففي لقائه بصاحب أبي نواس الذي يسميه (حسين الدنان) يقول: (فأدركتني مهابته وأخذت في إجلاله لمكانه من العلم والشعر فقال لي: أنشد أو حتى أنشدك ؟ فقلت: إن ذلك لأشد لتأنيسي على أنه ما بعدك لمحسن إحسان، ثم قال لي: أنشد. فقلت: وهل أبقيت للإنشاد موضعاً ؟ قال: لا بد لك ، وأوعث بي، ولا تتجد ، فلما انتهيت قال: لله أنت وإن كان طبعك مخترعاً منك، فلما انتهيت قال لي: أنشدني من رثائك أشد من هذا وأفصح ، ثم قال: أنشدني جحديتك من السجن فأنشدته من السجن فأنشدته.. فبكي لها طويلاً، ثم قال أنشدني قطعة من مجونك فقد بعد عهدي بمثلك فأنشدته.. فلما سمع هذا البيت ، قام يرقص به ، ويردده ، ثم أفاق ، ثم قال : هذا والله شيء لم نلهمه نحن ثم استدناي فقبل بين عيني وقال : اذهب فإنك مجاز) (٦٤).

ويمكن رصد مجموعة من الملاحظات في ضوء الحوار السابق فيما يلي :

أولاً : كثرة تناشد الشعر الوثيق الصلة بالحياة الخاصة للشاعر، أو بعبارة أدق بنفسيته مثل المجون والخمريات والرثاء والشكوى وبكاء النفس في السجن . ويبين هذا الربط بين الشعر والسلوك في قوله: (أنشدني قطعة من مجونك فقد بعد عهدي بمثلك) فالمجون قبل أن يكون هدفاً للشعر هو سلوك الشاعر ، ولذا ربط بين المجون والشاعر الماكن على لسان صاحب أبي نواس، وربما كانت كلمة (لم نلهمه — طبعك مخترع منك) ذات دلالة على هذا الصدور التلقائي للشعر عن النفس. كما يبين أيضاً من خلال الحديث تأثير الشعر في النفس ، يقول ابن شهيد: (فأنشدني يا دير حنة... فكدت والله أخرج من جلدي طرباً) .

(٦٤) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ .

ثانياً : إحساس ابن شهيد بوجود فارق في اللغة الشعرية بينه وبين أبي نواس ، يتمثل فيما قد يقع فيه ابن شهيد أحياناً من محاولات للتقعر ^(٦٥) ، واستعمال اللغة الشعر الجاهلي والبادية التي تختلف عما يتلاءم مع زمنه وبيئته ، مما يوجد في شعره مستويات متعددة للغة ، وفي هذا يختلف عن أبي نواس الذي كان يختار اللغة الحضرية ، فيبدو متفقاً مع روح عصره ^(٦٦) .

ثالثاً : إشارة ابن شهيد إلى أن لغة الشعر تتفاوت أغراضه ، ف لغة المجون غير لغة الرثاء في الأبنية الشعرية وتوجهاتها .

رابعاً : ربما كانت محاولاته لإعلاء ذاته ، والتأكيد على أن طبعه مخترع منه ، ذات دلالة مغايرة لقصد المؤلف تتمثل في كشفها عن اعتماده على تجربة أبي نواس

ويؤكد عمق ارتباطه بأبي نواس وجدانياً وفنياً ، فعندما يريد أن يظهر معرفته بشعر طرفة ، فيذكر قصيدته في هجاء ابن عمه أو صهره عبد عمرو بن بشر :

(لهند بحزان الشريف طول) ويعارضها بقصيدته (أمن رسم دار بالعقيق محيل) ، نجده لا يأخذ منها سوى إطارها الخارجي ويملؤه بمحتوى ، يتقارب مع بعض شعر أبي نواس يقول :

وبادر أصحابي النزول فأقبلت	كراديس من غض الشواء تشيل
نمسح بالحوذان منه أكفنا	إذا ما اقتنصنا منه غير قليل
فقلنا لساقينا أدرها سلافة	شمولاً ومن عينيك صرف شمول
فقام بكأسيه مطيعاً لأمرنا	يميل به الإدلال كل مميل

(٦٥) (دوافع ابن شهيد عن استعماله للوحشي من الكلام فيما يحكيه عن أحد تلاميذه الذين كان يعلمهم البيان بقوله: "ورأني استعمل وحشي الكلام في مواضعه ، ولم يشعر بحسن الوضع ، فاستعمل شيئاً منه وعرضه عليّ ، فقلت استره ، فقال: تبخل علي به ، وعرضه علي ابن الإقليلي ، فقال له: تتكب هذا الكلام فقال له : إن أبا عامر يستعمله فقال: يضعه في موضعه وهو أندرب منك في استعماله) ابن بسام : الذخيرة قسم ١ ج ١ / ص ٢٣٥ .

(٦٦) (عبد القادر القط : حركات التجديد في الشعر العباسي ضمن كتاب (إلي طه حسين في عيد ميلاده السبعين) ، تحت إشراف د: عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢م ، ص ٤١٨ .

وششع راحيه فما زال مائلاً
على الزهراء صرعى كأنهم
برأس كرين منهم وتليل
أساطين قصر أو جنوع نخيل

وإذا كان ابن شهيد قد قرن بين أبي تمام والبحري ، ليتحدد موقفه من قضية الشكل الفني ، فقد تأخر بأبي نواس عن زمنه ، وأتى به بعد البحري ، ليقرنه بالمتنبي : ليشير إلى المحتوى الذي يمثل رؤيته الخاصة أو موقفه من الحياة ويجعل المتنبي (خاتمة القوم) الذين رغب في رؤيتهم ، وكأن نظرة الإجلال للمشاركة تقف عند القرن الرابع الهجري فلا يتجاوز منتصف هذا القرن إلي ما بعده ليشير إلى معاصريه من المشاركة، وفي هذا تأخر عن متابعة الحياة الأدبية، يؤكد اعتماده على غيره في الإثارة والتمهيد ليأخذ أحكاماً جاهزة ناتجة عن ريادة غيره ، ويتفق هذا أيضاً مع نظرة التقديس للماضي ، ولعل لرغبته في انتهاء الحديث أراد أن يدفع عن نفسه تهمة عامة أو أن يبرر اتكائه على تجارب المشاركة الفنية : يقول على لسان صاحب المتنبي : (فقال: بلغني أنه يتناول ، قلت: للضرورة الدافعة وإلا فالقريحة غير صادعة، والشفرة غير قاطعة)(٦٧) .

ولقد لفته إلي شخصية المتنبي أنه (فارس علي فرس بيضاء كأنه قضيب على كتيب ، وبيده قناة قد أسندها إلى عنقه فحياء زهير فأحسن الرد ناظراً من مقلة شوساء قد ملئت تيهاً وعجباً) (٦٨) .

ويكاد يسهم ما أنشده ابن شهيد من شعره في إكمال هذا التقديم لشخصية المتنبي ليتأكد لدينا الإحساس بتقارب التجريبتين ، من ذلك قول ابن شهيد :

كأن الدجى همي ودمعي نجومه
هوت أنجم الغياء إلا أقلها
تحدّر إشفاقاً لدهر الأرائل
وغبن بما يحظى به كل عاقل
تبينت أن الجهل إحدى الفضائل
وأصبحت في خلف إذا ما لمحتهم

(٦٧) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ١١٢ .

(٦٨) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ١١١ .

ويقول أيضاً :-

أرى حمراً فوق الصواهل جمة فأبكي بعيني ذل تلك الصواهل
وربت كتاب إذا قيل زورا بكت من تأتيم صدور الرسائل
وناقل فقه لم ير الله قلبه يظن بأن الدين حفظ المسائل
وحامل رمح راح فوق مضائه به كاعباً في الحي ذات مغازل
حبوا بالمنى دوني وغودرت دونهم أرود الأمتي في رياض الأبطال
وما هي إلا هممة أشجعية ونفس أبت لي طلاب الرذائل^(٦٩)

فهذه التجربة الإنسانية التي تحملها الأبيات تنقسمها ثنائية، هي (أنا) الشاعر المتضخمة ذات الفضائل والهمة العالية ، و(دهر الأراذل الذين نالوا فوق استحقاقهم) وذات الثنائية تنقسم تجربة المتنبّي وتنتهي به كما انتهت بابن شهيد إلى الاغتراب ، ومن ذلك قوله :

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
بأجسام يحرّ القتل فيها وما أقرانها إلا الطعام
وخيل لا يخر لها طعين كأن قنا فوارسها ثمام^(٧٠)

وقوله أيضاً :

أذم إلي هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صدّاقته بد
بقلبي وإن لم أرو منها ملالة وبني عن غوانيها وإن وصّلت صد
وإني لتغيني من الماء نغبة وأصبر عنه مثلما تصبر الربد

(٦٩) ابن شهيد : رسالة التوايع والزوايع . ص ١١٣ - ١١٤ .

(٧٠) ديوان المتنبّي بشرح أبي الحسن الواحدي ص ١٦١ ، والديوان بشرح د/ عبد الوهاب عزام ، ص ١٠٧ .

وأَمْضِي كما يَمْضِي السَّانُ لَطِيَّتِي وأَطْوِي كما تَطْوِي المَجْلَحَةُ العُقدَ
وأَرْحَمُ أَقْوَاماً من العِيِّ والغَبَا وأَعْذِرُ في بَغْضِي لَأَنَّهُمْ
ضد^(٧١)

وهذا الاعتماد علي المشاركة في بناء تجربته الفنية سواء في الرؤية أو الشكل، يتفق معه أن يجعل ابن شهيد هدف مقابلاته أن يحصل على إجازة من الشعراء المشاركة تؤكد لمعاصريه أنه شاعر أصيل يرتبط بنسب فني إلى المشاركة ، كما ارتبط بها عرقياً

وفي هذا التوجه يبين — في الغالب — خضوعه للشخصيات المشرقية التي استحضرها، ثم يتخلى عن تخاذله وضعفه شيئاً فشيئاً كما تأخر في الزمن — ولهذا دلالاته فيما يتصل بمسألة القديم الحديث — حتى ليظهر أحياناً تفوقه في محاولة لتعويض نقص حقيقي يشعر به إزاء الثقافة المشرقية ، فيتم لقاءه بصاحب امرئ القيس عتبية بن نوفل وتجاوزهما علي النحو التالي: (فقال: حياك الله يا زهير ، وحيا صاحبك. أهذا فتاهم ؟ قلت : هو ذا وأي جمرة يا عتبية، فقال لي: أنشد فقلت السيد أولى بالإنشاد ، فتطامح طرفه واهتز عطفه وجعل ينشد :

سمالك شوق بعدما كان أقصر... حتى أكملها ثم قال لي : أنشد ، فهممت بالحیصة ، ثم اشتدت قوى نفسي ، وأنشدت ... فلما انتهيت تأملني عتبية ثم قال: (اذهب فقد أجزتك وغاب عنا)^(٧٢) .

أما صاحب قيس بن الخطيم فيقول له : (أنشدنا يا أشجعي ، وأقسم أنك إن لم تجد ليكونن يوم شر . فلما انتهيت تبسم وقال : لنعم ما تخلصت اذهب فقد أجزتك)^(٧٣) ، لكنه يتجراً عند مخاطبة المحدثين : فيجري على لسان أبي

(٧١) ديوان المتنبي بشرح أبي الحسن الواحدي ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ونسخة د/عبد الوهاب عزام ، ص ١٧٢ ، ١٧٣

(٧٢) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ٩٢ - ٩٣ .

(٧٣) السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

نواس قوله عند سماع شعر ابن شهيد: (هذا والله شيء لم نلهمه نحن)^(٧٤) ، وإن كان يتضمن دلالة على محاولته الاقتراب من النموذج المشرقي ، وإحساسه بالنقص تجاهه ، ويجعل صاحب أبي تمام مختبئاً في قعر بئر حياء من التحسن باسم الشعر وهو لا يحسنه^(٧٥) ، ويجادل صاحب البحرني (فقال له زهير: إنك مؤتمناً فقال: لا صاحبك أشمخ ماردنا من ذلك لولا أنه ينقضه، فقلت: أبا الطبع على رسلك إن الرجال لا تكال بالقفران)^(٧٦) حتى إذا أكمل ابن شهيد إنشاده فكأنما غشى وجه أبي الطبع قطعة من الليل ، وكر راجعاً إلي ناورده دون أن يسلم فصاح به زهير: (أأجزته ؟ قال أجزته لا بورك فيك من زائر ولا في صاحبك أبي عامر)^(٧٧).

ولا يعني هذا أنه لا يسلم للشعراء المشاركة ، فقد انتهى لقاءه بأبي تمام والمتبني بأن قبل على رأس كل منهما^(٧٨) ، ثم هو يطلب إجازة الشعراء المشاركة له ليكتسب شرعية تؤهله للوقوف أمام معاصريه الأندلسيين ، يصدق عليه قول شيطان أبي تمام له (ما أنت إلا محسن علي إساءة زمانك)^(٧٩) .

فابن شهيد — طبقاً لما تقدم — يجنح إلى مسألة القياس على شعراء بعينهم من أهل المشرق أمثال أبي نواس والمتبني اللذين كان لهما كبير الأثر على تشكيل رؤيته وتجربته ؛ وذلك لأغراض في نفسه تتمثل في نظرة التقديس لماضي العروبة تارة ، ول يؤكد لمعاصريه أصالة شعره الذي يرتبط بنسب فني للمشرقة إنكاء لنسبه العرقي أيضاً ، وليكتسب شرعية للوقوف أمام جيله من الشعراء المعاصرين تارة أخرى فجاء القياس على شعر المشاركة ، وتنامى الأثر في تكوين رؤياه وتوجهاته .

^(٧٤) السابق ، ص ١١١ .^(٧٥) ابن شهيد : رسالة التوايع والزوايع ، ص ٩٨ .^(٧٦) السابق ، ص ١٠٢ .^(٧٧) السابق ، ص ١٠٤ .^(٧٨) السابق ، ص ١٠١ ، ١١٤ .^(٧٩) السابق ، ص ١٠١ .

(د) موقفه النقدي من طرائق الفن النثري عند المشاركة :

تداعت توجهات ابن شهيد البلاغية والنقدية في إطارها الفني ليؤكد عمق توظيفه — في رسالة التوابع والزوابع — للقاءاته بأدباء المشرق من أجل بيان قدرته على مذاهبهم ، بالإضافة إلى الدفاع عن طريقته في السجع وأنها اختياره لملائمة أهل عصره ، وكأنما يبرر لنفسه وأمام معاصريه لزومه هذه الطريقة .

ويتحدد موقفه من الطرائق الفنية للمشاركة في الكتابة من خلال الرد على عبد الحميد الكاتب بقوله: (الزمان دفء لا قر، والكلام عراقي لا شامي ، إني لأرى من دم اليربوع بكفيك ، وألمح من كشى الضب على ماضغيك) أي أن طريقة عبد الحميد — بأعرابيتها — لم تعد ملائمة لعصر ابن شهيد .

فالزمان قد دار دورته وأصبحت الغلبة لمذاهب العراقيين ، وهذا ما نقل عنه في غير هذه الرسالة أيضاً قال: (وكما أن لكل مقام مقالاً، فكذلك لكل عصر بيان، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة ، وضرب من البلاغة لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه ، وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان؟ فالصنعة معهم أفسح باعاً وأشد ذارعاً ، وأنور شعاعاً لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دوراناً فكانت إحالة أخرى إلى طريقة إبراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابن وهب ونظرائهم ، فرقت الطباع وخف ثقل النفوس ، ثم دار الزمان فاعتري أهله باللطائف صلف وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما ، وكذلك الشعراء انتقلوا

عن العادة في الصناعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب أهله (٨٠) .

فيبتدى رأيه في تغير الذوق الفني وتطور الأدب ، الذي يرتبط لديه - على المستوي السياسي - بحركة الزمان وتعاقب الدول . فكما أن للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير . ولعل الفتنة البربرية بما صاحبها من تقلبات سياسية كثيرة ، جعلت من قبول فكرة التغيير أمراً سهلاً . كذلك تتجه حركة الأدب - عموماً - صوب ما يلائم الذوق الذي يميل بطبعه إلى التحضر والترف ، وما يستتبع ذلك من اتساع في الصناعة ، ومع إعلاء ابن شهيد لذاته بإظهار قدرته على مذاهب المشاركة ، إلا أن ميله - وفق رأيه السابق في تغير الذوق الفني لتغير الدهر - كان إلى الطريقة الأحدث ، طريقة بديع الزمان الهمذاني ، فأورد معارضته لوصفه الماء ، ورسالته في الحلواء على نمط مقامته المضيرية (٨١) .

كما تبدو رسالته التوابع والزوابع نفسها مقامة كبرى تعتمد - مثل المقامات - وضع البطل في مواقف متعددة ، لتنتهي إلى إظهار براعته في صناعته الأدبية .

من خلال العرض السابق يمكن القول: إن ابن شهيد الأندلسي قد وقف عند مسائل القديم والحديث في مباحثها المتنوعة ، وناقش قضاياها ما بين الأخذ والتوليد في المعاني الشعرية ، وكذلك انتصاره لقضية عمود الشعر التي دافع عنها وكشفت عن توجهه النقدي في اتصاله الفكري والعربي بأهل المشرق ، وميله لهم ، إلى جانب مذهبه النقدي في الجنوح إلى القياس على أشعارهم ، وتداعي معارضتها في إبداعه الشعري المتجلي في ديوانه ، كما تبدى موقفه

(٨٠) ابن بسام : الذخيرة قسم ج١/ ص ٢٣٧ .

(٨١) د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧١م ، ص ٣٢١ - ٣٢٤ .

من طرائق الفن النثري عندهم ، وكان مذهبه مغايراً لمجرى التقاليد النثرية لديهم ، متشياً مع حركة الزمن في تغير الذوق الفني وتطور الحركة الأدبية .

المبحث الرابع : التوجه النقدي والبلاغي في مسائل الإبداع والصناعة

يناقش هذا المبحث موقف ابن شهيد من الثنائيات المرتبطة بمسألة الإبداع وفقاً لتوجهاته النقدية والبلاغية في كتاباته ، مرتكزاً في تلك التوجهات على كثير من القضايا النقدية العالقة بأهل المشرق في معالجتهم لقضايا الإبداع وروابطها ، ويمكن طرح تلك التوجهات فيما يلي :-

(أ) ثنائية الطبع والصناعة :

يبين ابن شهيد في ضوء نصوص رسالته - التوابع والزوابع - أن الطبع هو محصلة العلاقة بين النفس والجسد، وأن جودة الطبع ما هي إلا زيادة النفس على الجسد، ولعل وراء هذا القول اعتقاداً بسمو النفس ، وإرجاع الإبداع إليها ، وقد يتجاوز ابن شهيد إعجابه بذاته وبشعره وبنثره لتفرده بتفسير الطبع على أساس روحاني ، وفي رؤيته للطاقة الشعرية بأنها واحدة في حالتها البدئية والروية .

وقد قدم ابن شهيد الأندلسي - خارج رسالة التوابع والزوابع - تحليلاً نقدياً لطبيعة البيان أو الأدب، عندما أراد أن يفسه رأي مؤدبي قرطبة - من أصحاب الثقافة اللغوية- في البيان، كما أراد أن يعلي من طريقته في الشعر التي تقوم على الطبع، وتعتد بالإلهام والابتداء، فأشار إلى شروط البيان أو الإبداع في الأدب، فذكر أولاً الطبع، يقول ابن شهيد: (وإصابة البيان لا يقوم

بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو، وإنما يقوم بها الطبع مع وزنه مع هذين: النحو والغريب) (٨٢).

فيقترب رأيه مما نعتقه الآن من أن الأدب لا ينتج عن الدراسة وحدها، بل ينتج عن طبع موات أو موهبة تصقلها الدراسة وقد قال هوارس (ناقد وشاعر لاتيني): "لست أتبين ماذا يستطيع التحصيل أن يثمر من غير نفحة وإفرة من الموهبة الطبيعية، أو الموهبة الفطرية من غير التحصيل، إن أحدهما ليلح في طلب الآخر ويعاهده على صداقة باقية" (٨٣).

ويطور ابن شهيد فكرته عن العلاقة بين البيان والطبع إلى معيار نقدي يميز بين المبدعين، ويقسمهم إلى مراتب، لا وفق صورة أدبهم المنتج، ولكن وفق أحوالهم في الإبداع، مدى سهولته، وكيفية اندفاعهم فيه، يقول: (وأهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة، متفاضلون في شرف المرتبة على مقدار إحسانهم وتصرفهم فمنهم الذي ينظم الأوصاف، ويخترع المعاني ويحرز جيد اللفظ إلا أنه يصعب عليه الكلام، ويكد قريحته التأليف حتى أنه ربما قصر في الوصف وأساء الوضع فهذا في الأبيات القليلة نافر، وفي القريحة المأخذ سائر، وفي طريقة الجمهور الأعظم ذاهب، حتى إذا ازدحمت عليه وانحشدت إليه، وطالبته ببهاء البهجة وشرف المنزلة وقف وانفل وتلاشى واضمحل. ومنهم الكارع في بحر الغزارة، القادح بشعاع البراعة، الذي يمر مر السيل في اندفاعه والشؤبوب في انصبابه، لا يشكو الفشل، ولا يكل على طول العمل، إذا ازدحمت في الكلام عليه المطالب، وعلقت بحواشي فكرة المآرب، وحشرت عليه الصعائب والغرائب أستقل بها كاهله، وأضطلع بتقلها غاريه، وأعارها من نظرة لمحة، ومن فكرة قدحة، قم رمى بها عن جانبيه، قد رويت

(٨٢) ابن بسام: النخيرة قسم ١ ج ١/ص ٢١٣.

(٨٣) هوارس: فن الشعر، ترجمة: د/ لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص

بمائها، ولبست شعاع بهائها، وبقي كاللقوة في المرقب، سام نظره قد ضم جناحيه، ووقف على مخبله، لا تتاح له جراحة إلا اقتنصها، ولا تتازله طائرة إلا اختطفها، جرأته كشفرت، وبديته كفكرته، فذلك الألسن يوم حرب الكلام، لا تخطئ ضربته ولا تصاب غرته^(٨٤).

فابن شهيد يرتب أهل صناعة الكلام في ثلاث مراتب — كما تقدم تفصيله في طبقات صناع البيان — وهو في ذلك يحاول أن يطوع حقائق عملية الإبداع — في عصره — لتصبح معياراً نقدياً، يميز مراتب المبدعين على أساس منها

ووفقاً لهذا التوجه عند ابن شهيد فإن ثنائية الطبع والصناعة تأخذ منحى نفسياً أو روحانياً، إذ يكشف — في تراجم نصوصه حول تلك الرؤية — عن أن الطبع هو استعداد لضرب من الصناعة أو قابلية لها بحكم الخلقة، وفحوى هذا التوجه عنده أن الطبع يمكن أن يفسد أو ينقص لأسباب في مكوناتهم الجسدية، أو لعل تصيب أجسادهم، ويمكن أن يكون هذا الرأي ناتجاً عن ثقافة ابن شهيد الطبية، التي أشاد بها القدماء^(٨٥)، وربما كان سائداً في الطب وقتذاك أن أخلاق المرء أو نفسه، تظهر في خلقة وشكله، وأن أغلظ الشكل يماثل غلظ القلب، وفساد الآلة القابلة للروحانية (النفس)، الأمر الذي يؤدي إلى فساد الطبع.

(ب) ثنائية العلم والموهبة وارتباطها بعناصر الإبداع في مذهبه النقدي:

يشير ابن شهيد في كتاباته إلى ثنائية معروفة في تراثنا النقدي تتجلى في ثنائية العلم والموهبة، إذ يربطها بعناصر الإبداع في توجهاته النقدية، وي طرحها من خلال المقارنة بين شخصيته وشخصية ابن الأفلح، فابن

(٨٤) ابن بسام: النخيرة، قسم ١/ ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٨٥) الحميدي: جذوة المقتبس ص ١٣٦، حيث يقول عن ابن شهيد: (وكان له من علم الطب نصيب وافر).

الأفليلي^(٨٦) اللغوي هو (على علته زير علم ، وزنبيل فهم ، وكنف ورواية^(٨٧)) ، ومع ذلك فهو في أدبه (كمغن وسط ، لا يحسن فيطرب ، ولا يسيء فيلهي)^(٨٨) أما ابن شهيد — بعد امتلاكه للموهبة — لا يعرف على من قرأ على حد قول ابن الأفليلي^(٨٩) ، ولا يطبق المطارحة في كتب الخليل أو سيبويه أو ابن دستوريه وفق اعترافه: (قال: فطارحني كتاب الخليل قلت: هو عندي في زنبيل . قال فناظرني في كتاب سيبويه قلت : خريت الهرة عندي عليه ، وعلى شرح ابن دستوريه)^(٩٠) .

ومع ذلك فهو (شاعر خطيب)^(٩١) انفض جمع الخطباء في عالم الجن (والإبصار — إليه — ناظرة ، والأعناق — نحوه مائلة)^(٩٢) .

فابن شهيد يعطي من جانب الطبع في مقابل معاصره الذي يعطي من جانب العلم . وقد أثرت هذه الثنائية من قبل أثناء الخصومة بين أبي تمام والبحثري، يذكر الأمدي (قال صاحب أبي تمام قد أقررت لأبي تمام بالعلم والشعر والرواية ولا

(٨٦) أنظر لترجمة ابن الأفليلي : ابن خير : فهرسة ابن خير ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١ ، يا قوت الحموي : معجم الأدباء ج ٧ ص ٣٠٧ ابن بسام : الذخيرة قسم ١ مج ص ٢٨١ - ٢٨٢ وفي المصدر الأخير ينقل ابن بسام ترجمة ابن حيان له التي يعيننا منها ما يأتي :-

(أ) مكانته العلمية وثقافته اللغوية : يقول ابن حيان (بذ أهل زمانه بقرطبة ، في علم اللسان العربي ، والضبط لغريب اللغة في الفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها) ص ٢٨١ .

(ب) سوء خلقه في العلم : (وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن ، كثير الحسد فيه ركباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده) ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(ج) طموحه السياسي : (وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة ، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود ، ومن تلاهم إلى أن نال الجاه) ص ٢٨٢ .

(د) كساد أدبه الذي يرجع إلى سوء طريفته في الكتابة : (واستكتبه المستكفي بعد ابن برد فوقع كلامه جانباً من البلاغة لأنه كان على طريقة المعلمين المتكافئين ، فلم يجز في أساليب الكتاب المطبوعين فزهد فيه) ص ٣٨٣ . وذكر ابن شهيد مثل ذلك عنه أيضاً . انظر ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١/ ص ٢٤١ - ٢٤٢ . ومما سبق يتبين لنا توافر أسباب الاختلاف مع ابن شهيد ، فقد كان لكل منهما طموحه السياسي ، الذي يمكن أن يتعارض مع الآخر ، فضلاً عن الاختلاف بين ثقافة كل منهما وطريقته في الكتابة .

(٨٧) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجر . ص ١٣١ .

(٨٨) السابق ، ص ١٢٥ .

(٨٩) السابق ، ص ١٢٤ .

(٩٠) السابق ، ص ١٢٤ .

(٩١) السابق ، ص ١٣١ .

(٩٢) السابق ، ص ١٣١ .

محالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم ،

وقال صاحب البحتري: قد كان الخليل ابن أحمد عالماً شاعراً، وكان الأصمعي عالماً شاعراً، وكان الكسائي كذلك.. وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء فقد صار التجويد في الشعر ليست علة العلم... فقد سقط فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري ، وصار البحتري أولى بالفضل ، إذ كان معلوماً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء^(٩٣) .

ولا يختلف الإبداع في النثر كثيراً عن الإبداع في الشعر، فإذا كان ابن شهيد — في موقف المبدع — قد أرجع موهبة الشعر الخارقة إلى الشياطين، فقد فعل نفس الشيء مع النثر، وطفق يلتقي بتوابع الكتاب مثل الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان، يقول لشيطنه: (مل بي إلى الخطباء فقد قضيت وطراً من الشعراء)^(٩٤) ، يقصد الكتاب ، ولكنه يحافظ على السجع والتوافق بين (الخطباء — الشعراء) .

وإذا كانت فكرة شياطين الشعراء مألوفة في تراثنا العربي ، فإن فكرة شياطين الكتاب تبدو غير مألوفة^(٩٥) ، لكن ارتباط السجع بالكهان، وهو وحي الشياطين ، يمكن أن يبرر هذه العلاقة، يقول د. جواد علي (والرئي الذي يوحى إلى الكاهن علمه بالكهانة هو ضرب من هذه الشياطين التي تخيلوها للشعراء ، فبفضل الرئي يقول الكاهن سجعه لمن يطلب منه أن يتكهن عن أمر سألته عنه ، وهو يجيب السائل بما يليقه رئيّه عليه ، يليقه سجعاً . أما شيطان

(٩٣) الأمدي : الموازنة ج ١ ص ٥٢ .

(٩٤) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع . ص ١١٥ .

(٩٥) د. زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، طبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٣٤م ج ١ ص ٢٢٢ .

الشاعر فيلقيه على شاعره شعراً، ومن هنا وقع الفرق بين قول الشاعر وبين قول الكاهن^(٩٦).

ويبدو أن ابن شهيد لم يكن مصرأً على هذا الارتباط بين الناثر والشياطين، لذا عاد تحت تأثير القرآن الكريم، ليقول لأنف الناقة تابعة ابن الأفليلي: (قال: لقد علمنيه المؤدبون، قلت: ليس هو من شأنهم وإنما هو تعليم الله تعالى، حيث قال: "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان" ليس من شعر يفسر، ولا أرض تكسر، هيهات حتى يكون المسك من أنفاسك، والعنبر من أنفاسك، وحتى يكون مساقك عذباً، وكلامك رطباً، ونفسك من نفسك، وقلبك من قلبك، وحتى نتناول الوضع فترفعه فنقول: "أسود زنجي.. مساور للأساورة، يجر ذيله على الجابرة..") وحتى تصف ثعلباً فنقول: (أدهى من عمرو، وأفتك من حذيفة بن بدر، كثير الوقائع في المسلمين)^(٩٧).

ولعل قوله (وحتى نتناول الوضع فترفعه، والرفيع فتضعه، والقبيح فتحسنه) فضلاً على دلالاته على طريقة في الكتابة الأدبية تبرز المهارة بالقول في المحاسن والأضداد، ذو علاقة بالأفكار النقدية الآتية :-

(١) فكرة المعاني الملقاه في الطريق المنفصلة عن ألفاظها، والتي تقبل التحسين والتقبيح وفق الكسوة اللفظية، التي تضاف إليها أثناء عملية الصناعة يقول قدامه بن جعفر: ومما يدل على أن المعاني كانت في نفوس الناس قديماً أن أبا العباس محمد بن يزيد النحوي، قال حدثني التوزي، قال قلت للأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: من يأتي إلى المعني الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً أو إلى الكبير

(٩٦) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج ٩/ ص ١٢٢.
(٩٧) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواجع. ص ١٢٥ - ١٢٧.

فيجعله بلفظه خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى) (٩٨).

ويوضح قدامة عملية الصناعة الشعرية وكيف تحدث خصوصية في المعاني . يقول: (المعاني للشعر في منزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة.. ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً بيناً ، غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها) (٩٩).

(٢) فكرة الكذب في الشعر التي تتحقق كما ذكر قدامة بالمبالغة والغلو، والتي يصرح قدامة بأنه قد وجدها لدى فلاسفة اليونان قائلاً: (وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم) (١٠٠).

وقد فسرهما — فيما بعد — عبد القاهر الجرجاني بقوله: (ومن قال خير الشعر أكذبه ذهب إلى أن الصناعة إنما يمد باعها ، وينشر شعاعها، ويتسع ميدانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخييل ، ويدعي الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل... ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق، في المدح والذم والوصف والبث والفخر والمباهاة وسائر الأغراض والمقاصد) (١٠١).

(٩٨) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ١٦٩ .

(٩٩) المصدر السابق ص ٦٥ .

(١٠٠) نفسه ، ص ٩٤ .

(١٠١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص ٢٥٠ .

وربما كان لهذا القول علاقة باصطلاح التخيل، الذي يوجد في كتابات النقاد القدماء، والذي - لا شك - مستمد من شراح أرسطو من الفلاسفة المسلمين، فإنه يتردد في كتاباتهم قريناً للمحاكاة ومرادفاً لها (١٠٢).

ويشير - في الغالب - إلى التقديم الحسي للمعاني بواسطة أشكال التصوير البلاغي، على نحو يغاير ما في الواقع ولا يقلده تماماً. يقول الفارابي: (والأقاويل الشعرية هي التي تتركب من أشياء شأنها أن تخيل في الأمر الذي فيه المخاطبة حالاً ما أو شيئاً أفضل أو أخس، وذلك إما جمالاً أو قبحاً أو جلالاً أو هواناً أو غير ذلك مما يشاكل هذه) (١٠٣)، وبعد أن يبين الفارابي في جوامع الشعر - ضروب المحاكاة بالقول يشير إلى تأثير الشعر في المتلقي بقوله: (والتخيل ههنا مثل العمل في البرهان، والظن في الجدل، والإقناع في الخطابة، فإنه أفعال الإنسان كثيراً ما تتبع تخيلاته. وذلك أنه قد يخيل شيئاً في أمر فيفعل في ذلك ما كان يفعله، لو اتفق بالحس أو بالبرهان وجود ذلك الشيء في ذلك الأمر) (١٠٤).

ويقول ابن سينا: (وكل محاكاة فأما أن يقصد بها التحسين وأما أن يقصد بها التقييح، فإن الشيء إنما يحاكي ليحس أو يقبح.. فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين: أحدهما ليؤثر في النفس أمراً من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال والثاني للعجب فقط، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه. وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل) (١٠٥).

(١٠٢) د. الفت محمد كمال: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٩٣.

(١٠٣) أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق: د/ عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، ص ٨٣.

(١٠٤) أبو نصر الفارابي: جوامع الشعر، تحقيق: د/ محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٧٤.

(١٠٥) ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو الحسين بن عبد الله): الشعر، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٣٤.

ونكتفي بأن نشير — هنا — إلى أن لأبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن حزم معاصر ابن شهيد وصديقه صلة بالمنطق الأرسطي (١٠٦)

وعلى الرغم من كل ما تقدم، فإن هذه الفكرة — أيضاً — يمكن أن تكون مستمدة من تاريخ الأدب العربي بالنظر إلى تأثير المديح والهجاء، أو من طبيعة الفنون الأدبية عند العرب ، كالمديح والهجاء والوصف ، التي تعني بالمتلقي كثيراً .

وعلى هذا فإن تلك الثنائية — العلم والموهبة — قد كان لها صدى واسع المدى عند الفلاسفة وأهل المنطق، الأمر الذي انعكس أثره على ابن شهيد في ربط تلك الفكرة بعناصر الإبداع التي تمثلت عنده في العاطفة والمكان والخلوة، وإلى مثлга أشار نقاد المشرق كابن قتيبة وغيره (١٠٧) ، ولكن يبدو أن هذه العناصر لا تجدي شيئاً، ما لم تساعد عليها شياطين الشعر، فقد أرتج عليه القول وأفحم، لولا ظهور زهير بن نمير تابعه لينجده، فكان شيطان الشعر هذا وراء نفاذ قريحته .

(ج) روابط الإبداع بشياطين الشعر :

تبين في العنصر السابق أن عناصر الإبداع بكل مقوماتها — في مذهب ابن شهيد ورؤيته النقدية — مرتبطة بعوامل نفسية وفطرية ، ومع ذلك فإنها لا تفي بتكامل العمل الإبداعي ومقوماته إلا بتداعي شيطان الشعر الذي يعتقد أنه وراء نفاذ قريحة المبدع .

(١٠٦) د. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣١٤ وأنظر : بالنتي : تاريخ الفكر الأندلسي ٢١٥ .
(١٠٧) أشار ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء إلى هذه العناصر بمثل قوله : (وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف ، ومنها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ومنها الغضب) ج ١/ ص ٧٨ ، ونقل أيضاً (ويقال أنه لم يستدع) شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي) ج ١/ ص ٧٩ . وقال أيضاً : (وللشعر أوقات يسرع فيها أتبه ، ويسمح فيه أبيه ، منها أول الليل قبل تنفسي الكري ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير) ج ١/ ص ٨١ ، وأنظر أيضاً : ابن رشيقي القيرواني : العمد ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

وتشير رسالة (التوابع والزوابع) إلى ثنائية موجودة في التفكير النقدي العربي عند النظر إلى قضية الإبداع ، فإنه يلاحظ — على مستوى الشعراء — رواج فكرة شياطين الشعر التي تلهمهم وتخلق موهبتهم^(١٠٨)، على حين يروج — على المستوى النقدي — إيمان النقاد بالصناعة التي لا تدخل للشياطين فيها^(١٠٩) .

ولعل ذلك يمكن تعليله باهتمام الشاعر باللحظة الأولى التي يبرز فيها العمل الفني في ذهنه وتشوقه إليها ، على حين يجد الناقد العمل الأدبي ناضجاً مكتملاً ، تتبدى فيه الصناعة والحكمة والجهد ، ولا شك في أن نشأة الشعر العربي قد سبقت — زمنياً — وجود النقد الأدبي المنظم لدى العرب ، مما يشير إلى السبق التاريخي للتفسير الأول ، وإلى تأخر ظهور التفسير الثاني ، وقابليته للامتداد في التأثير وفق مرور الزمن .

ويشارك ابن شهيد — في الموقف الأول — أعني ربط الشعر بالشياطين حين يجعل (التوابع والزوابع) عنوان رسالته، ثم يفسره بما يورده على لسان أبي بكر بن حزم: (وأقسم أن له تابعه تتجده ، وزوابعه تؤيده، ليس هذا في قدرة الإنس، أما أن به شيطاناً يهديه وشيطاناً يأتيه)^(١١٠) .

والتابعة — في اللغة — الرئي من الجن ألحقوه الهاء للمبالغة أو لتشنيع الأمر، أو على إرادة الداهية، والزوبعة: اسم شيطان مارد، أو رئيس من رؤساء الجن ، ومنه سمي الإعصار زوبعة ، ويقال أم زوبعة وهو أحد التسعة

(١٠٨) فكرة شياطين الشعراء أشهر من أن يدلل عليها ، راجع على سبيل المثال :-

(أ) ابن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، فصل في قول الجن الشعر علي السنة العرب ، ص ٤٧ - ٦٢ .

(ب) الجاحظ : الحيوان ج١ / ص ٢١٥ - ٢٣١ .

(ج) أبو العلاء المعري : رسالة الغفران ص ٢٥٢ - ٢٩١ .

رسالة الشياطين - مع رسالة الغفران - نشر كامل كيلاني ج٤ ص ٤٧٥ - ٤٠٦ .

(د) محمود شكري الألويسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج٢ ص ٣٦٥ .

(هـ) محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص العرب ج٤ ص ٣٦٥ .

(١٠٩) رجاء عيد: التراث النقدي ونصوص ودراسة ، (صناعة الشعر عند النقاد العرب القدماء)، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص ٥٣ ٨٨ .

(١١٠) ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع ، ص ١٨٨ .

أو السبعة ، الذين قال الله فيهم: "وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن" (الأحقاف/ ٤٩) (١١١) .

وينتفع ابن شهيد — في هذا الموقف — بربط العرب للإبداع الشعري بالشياطين ففي أخبار عن العصر الجاهلي لا يكاد يظهر الجن إلا لينشد شعراً ، وتوجد هذه الفكرة أيضاً لدى الأمويين والعباسيين .

فكما ربط الإغريق — في أساطيرهم — بين الشعر وآلهة الفنون Muses وجعلوه إلهاماً منها ، كذلك أرجعته العرب إلى شياطين الشعر (وكانت الشياطين لكبار شعراء العرب دون صغارهم) (١١٢) .

ثم اتخذت قضية الإلهام في النقد الحديث (شكلاً آخر ذا طابع علمي منذ اكتشاف علماء النفس عالم اللاشعور) (١١٣) ، (والتجارب التي كانت تفسر في الأزمنة غير المستتيرة بأنها إملاء من قوى خارجية خارقة ، تفسر اليوم بأنها دفقات من اللاوعي في الوعي) (١١٤) .

وقد ربط القرآن الكريم بين الشعر والكهانة والشياطين ، لينذكي التصور العربي لصدور الشعر عما يعلو عن طاقة البشر، وليعبر عن موقف خاص من الشعر وقتذاك وذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذي آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" (الشعراء/ ٢٢١ - ٢٢٧)، وكذلك قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما

(١١١) ابن منظور: لسان العرب : مادتا (تبع - زبع) .

(١١٢) د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(١١٣) المرجع السابق ص ٣٥٠ .

(١١٤) روثفن . ك . ك : قضايا في النقد الأدبي ، ترجمة د/ عبد الجبار المطلبي ،، مراجعة د/ محسن جاسم الموسري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م ، ص ١٣٩ .

تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزّل من رب العالمين " (الحاقة/ ٤٠ - ٤٣) .

وأثبت القرآن الكريم للجن قدرة على التدنوق والتمييز بين الأساليب ، يقول الله تعالى: " قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشd فأما به ولن نشرك بربنا أحداً " (الجن/ ١-٢) .
وأشركهم مع الإنس في التحدي بإعجاز القرآن مشيراً إلى إمكان التعاون بينهما في مجال التعبير الفني، فقال تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " (الإسراء/ ٨٨) .

ويثير أبو العلاء المعري في رسالة الشياطين قضية ارتباط الشعر عموماً لدى العرب بالشياطين، على الرغم من تباین موضوعاته، وتوزعها على الخير والشر، ويومئ إلى إمكان البحث عن تفسير آخر لمصدر شعر الإسلام والخير ، يقول: "مشهور عند العرب أن لكل شاعر شيطاناً، يقول الشعر على لسانه.. وقد زاد ادعاؤهم لذلك حتى سمو الشياطين بأسماء يعرفونها بينهم.. وقد رؤوا في ذلك أخباراً كثيرة " (١١٥) .

ثم يذكر عن أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري الذي كتب له هذه الرسالة (خلده مأهول بالقرآن، فلا يسلك عفريت في صدره، والملائكة لا تتطرق بمثل شعره ولا نعلم أحداً روى شعراً عن الملائكة.. وله - أدام الله عزه - أن يحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما أمره بإجابة شعراء قريش... روح القدس معك، فللمدعي أن يقول: إن حسان ومن جرى مجراه من قالة الحق تعينهم الملائكة على ذلك) (١١٦)، أي أن هذه الفكرة عن

(١١٥) أبو العلاء المعري: رسالة الشياطين ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(١١٦) أبو العلاء المعري: رسالة الشياطين ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

توزع الشعر بين الشيطان والملاك ، تتحول لدى المعري إلى جدل حول ما يمكن أن تشير إليه الأدلة الشرعية ، ربما عن طريق عبث المعري المشهور . وهي لدى الثعالبي تعبير ورمز عن توزع الشعر بين الخير والشر ، وعن أيهما أليق بالشعر وأخص به يقول الثعالبي عن حسان بن ثابت : "كان رضي الله عنه يقول الشعر في الجاهلية ، فيجيد جداً ويغبر في نواصي الفحول ، ويدعي أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء في ذلك ، ويقول مثل قوله في بني جفنة ملوك غسان :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيضُ الوجوه كريماً أحسابهم شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ

فلما أدرك الإسلام ، وتبدل الشيطان الملك ، تراجع شعره ، وكاد يرك قوله ، ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر ، وأليق به ، وأذهب في طريقه من الملك (١١٧)

أي أن فكرة شياطين الشعر مسئولة أيضاً عن الاعتقاد بمناسبة الشعر للشعر قبل أي شيء الأمر الذي يتناسب معه القول بأن الشعر ينعزل عن الدين ، الذي تمسك به نقاد العرب في معرض الدفاع عن الشعراء ، مثل الصولي في دفاعه عن أبي تمام (١١٨) ، والجرجاني في دفاعه عن المتنبي (١١٩) ، ولعله هو نفسه قول الأصمعي : (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب

(١١٧) الثعالبي : خاص ص ١٠٢ .

(١١٨) أبو بكر الصولي : أخبار أبي تمام ص ١٧٢ . قال الصولي : (وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره ، وتقييح حسنه ، وما ظننت أن كفرًا ينقص من شعر ، ولا أن إيماناً يزيد فيه) .

أخبار أبي تمام ص ١٧٢ .

(١١٩) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٦٤ .

قال القاضي الجرجاني : (فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكن أولاهم بذلك أهل ، الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبيري وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر) .

الخير — من مرآتي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم — لان شعره!

وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابعة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير (لأن) (١٢٠)، الذي يشير أيضاً إلى أن الشعر إنما يكون على طريق شعر الفحول بأغراضه وخصائصه، التي استقرت في الجاهلية (زمن الشر بالقياس إلى الإسلام زمن الخير).

ولعل فكرة شياطين الشعراء على هذا النحو مسئولة — مع غيرها — عن فتح الباب واسعاً للتحرج من الشعر، وتفضيل النثر عليه، لاسيما عند ربط البيان بالرحمن كما تم ذكره في المبحث السابق.

ووفق هذا الموقف الأول — الذي أشرنا إليه من قبل — يتم التعارف بين ابن شهيد وتابعه، أثناء نظم الشعر، أي في حالة كونه شاعراً يقول: (فاتفق أن مات من كنت أهواه مدة ذلك الممل، فجزعت وأخذت في رثائه يوماً في الحائر، وقد أبهمت على أبوابه وانفردت فقلت:

تولي الحمام بظبي الخدور وفاز الردى بالغزال الغرير

إلى أن انتهيت إلى الاعتذار من الممل الذي كان، فقلت:

وكنت مللتك لا عن قلى ولا عن فساد جرى في ضميري

فأرتج على القول وأفحمت، فإذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس أدهم كما بقل وجهه، قد اتكا على رمحه، وصاح بي أعجزا يا فتى الأنس؟ قلت: لا وأبيك للكلام أحيان وهذا شأن الإنسان! قال لي: قل بعده:

كمثل ملال الفتى للنعيم إذا دام فيه وحال السرور

(١٢٠) المرزباتي (أبو عبيد الله محمد بن عمران): الموشح، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٨٥.

فأثبت إجازته، وقلت له: بأبي أنت! من أنت! قال: أنا زهير بن نمير^(١٢١)،
من أشجع الجن، فقلت وما الذي حداك إلى التصور لي؟ فقال: هوى فيك .
ورغبة في اصطفاك ، قلت أهلاً بك أيها الوجه الوضاح ، صادفت قلباً إليك
مقلوباً وهوى نحوك مجنوباً ، وتحدثنا ثم قال : متى شئت استحضاري فأنشد
هذه الأبيات :

وإلى زهير الحب يا عز إنه إذا ذكرته الذكرات أتاها
إذا جرت الأفواه يوماً بذكرها يخيل لي أنني أقبل فاهها
فأغشى ديار الذاكرين وإن نأت أجارع من داري هوى لهواها
وأوثب الأدهم جدار الحائط ثم غاب عني ، وكنت أبا بكر، متى أرتج علي
، أو انقطع بي مسلك ، أو خانني أسلوب أنشد الأبيات فيمثل لي صاحبي ،
فأسير إلى ما أُرغب وأدرك بقريحتي ما أطلب^(١٢٢) .

ولعل الإعلاء من فكرة شياطين الشعر والإلهام لدى ابن شهيد ، يتفق مع ما
اشتهر به من صدوره عن طبعه ، وكذلك إجادته لقول الشعر على البديهة، فقد
قال ابن حيان عن شعره: (وشعره حسن عند أهل النقد ، تصرف فيه تصرف
المطبوعين، فلم يقصر عن غايتهم)^(١٢٣). وقال أيضاً: (والعجب من أنه كان
يدعو قريحته إلى ما شاء من نثره ونظمه في بديهته ورويته ، فيفقد الكلام كما
يريد من غير اقتناء للكتب ، ولا اعتناء بالطلب ، ولا رسوخ في الأدب ، فإنه
لم يوجد له ، رحمه الله — فيما بلغني — بعد موته كتاب يستعين به على

(١٢١) يبدو أن هذا الاسم مشتق من طبيعة الأندلس ، حيث الزهر والماء النмир ، اللذين حلما للعربي في موطنه
الأصلي (الصحراء) .

وقد تبدو الصلة واضحة بين اسم التابع الشاعر أو الكاتب مثال : حسين الننان شيطان أبي نواس وأبي الطبع
شيطان البحترى ، وأبي عبيدة شيطان الجاحظ ، وقد يختار الاسم ليناسب شيئاً مشهوراً في شعر الشاعر ، مثل
اختيار عتيبة بن نوفل ليناسب الدخول فحومل عند امرئ القيس .

(١٢٢) ابن شهيد: التواضع والزواضع من ٩ - ١٠ .

(١٢٣) ابن بسلام الشنتريني : الخيرة قسم ١ مج ١ ص ١٩٢ .

صناعته ، ويشخذ من طبعه إلا ما قدر له ، فزاد ذلك في عجائبه ، وإعجاز بدائعه (١٢٤) .

وأشاد ابن شهيد بقريحته فقال (وقليل الالتماس من النظر يزيدني، ويسير المطالعة يفيدني) (١٢٥). واقتخر على لسان صاحب أبي نواس بصدوره عن طبعه قائلاً: (لله أنت ، وإن كان طبعك مخترعاً منك) (١٢٦)، كذلك كثرت الأخبار عن جودة بديهته وسرعتها من ذلك ما يروى عن امتحان الوزير أبي جعفر بن عباس له (١٢٧)، وغير ذلك مما عني به ابن ظافر الأزدي في كتابه بدائع البدائ (١٢٨) .

أيضاً يتفق تصويره لشیطان الشعر مع التصور الموروث عن العرب المشاركة في كون شيطانه من نفس قبيلته (أشجع)، وهذه سمة مألوفة في الأخبار التي تحكي عن شياطين الشعراء، فهبيد شيطان عبید بن الأبرص الأسدي (الشاعر الجاهلي) ، ابن عم لمدرک بن واغم صاحب الكميت بن زيد الأسدي (الشاعر الأموي) .

ولكنه يختلف عنه عندما يتمثل شيطانه على صورة الفارس الشاعر ، فالصورة المألوفة في أخبار العرب عن شيطان الشعر، أن يلتقي به العربي أثناء سيره متوحداً في الصحراء على بعير صعب ، أو على فحل كأنه فدن ، أو يكون ببلقعة من الأرض لا أنيس بها فترفع له نار ، أو يلقاه على حال من أحوال المسخ ، على هيئة ثعبان مثلاً كما حدث لعبید بن الأبرص، عندما أضل إيلاً له ، وساعده الجني ، وفي أكثر هذه الحالات يدفع الجني إلى العربي ببكر أو عود، يصل به إلى هدفه ، ويدرك بغيته مسرعاً وفي أثناء هذا اللقاء لابد من تناشد الشعر .

(١٢٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة قسم ١ مج ١ ص ١٩٢ .

(١٢٥) ابن شهيد : رسالة التواضع والزواجع . ص ٨٨ .

(١٢٦) السابق ، ص ١٠٩ .

(١٢٧) المصدر السابق ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(١٢٨) ابن ظافر الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر) : بدائع البدائ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٥٧ .

ولكن هذا التمايز لدى ابن شهيد لا يرجع إلى أزمتة الشخصية ، فمشكلته — نفسية — مشكلة أديب، يريد أن يزاحم معاصريه من الأندلسيين، وأن يحقق لنفسه مكانة متميزة في مجتمعه عن طريق الشعر والأدب — ولعل صورة الفارس وحياة ابن شهيد لا تؤكداه — ولم يكن سعيه لها استدعاء من التراث العربي يخص مجتمعه ويصلح لحل مشكلاته .

وفي هذا السياق ينتفع ابن شهيد بالعلاقة بين الشعر والشياطين في جعل الشعر رقية يستحضر بها شيطانه، وتشير الأبيات إلى استبداله شيطان الشعر بالمحوبة، فإنه يأتي على التذكر كما كان التذكر يقربها إليه .

ويختفي دور شيطانه في الإلهام ، عندما يبدأ رحلته في وادي الجن . يقول ابن شهيد (فقال: حل على متن الجواد، فصرنا عليه وسار بنا كالطائر، يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدو فالدو حتى التمحت أرضاً لا كأرضنا وشارفت جواً لا كجونا متفرع الشجر عطر الزهر) ^(١٢٩)، فيشير أولاً إلى أن وسيلة الانتقال هي الجواد ، لكنه لا يسير على الأرض وإنما يطير في الجو ، فصورته أقرب إلى صورة البراق في قصة المعراج ، مما يشير إلى قصة المعراج في الإلهام بمثل هذه الرحلات .

وتتفق فكرة الطيران إلى وادي الشعراء والخطباء الحقيقيين — فالصورة الأصلية لأدباء الأرض موجودة في عالم الجن — مع الرغبة في هجر الواقع الأرضي المتدني ، للحاق بالأدباء الحقيقيين (المشاركة) بعد أن سئم الوجود بين الأدباء المقلدين (المحاكين) الوسطاء ، وكأنه يريد أن يثبت لنفسه مكانة بين الأدباء الحقيقيين .

ومن اللافت للنظر أيضاً — في هذا المقام — أن صورة أرض الجن ، التي تبدو ممرعة خصبة ^(١٣٠)، تشبه بلده الأندلس. وتفترق عن صورتها في قصص

(١٢٩) ابن شهيد : رسالة التواضع والزوابع . ص ٩١ .

(١٣٠) السابق ، ص ٩١ - ٩٣ .

شياطين الشعراء في الجاهلية ، نجد لها مثيلاً في المقامة الأبلسية لبديع الزمان الهمزاني حيث يقول: (أضللت إبلاً لي فخرجت في طلبها، فحللت بواد خضر فإذا أنهار مصردة، وأشجار باسقة وأثمار يانعة، وأزهارها منورة، وأنماط مبسوطة) (١٣١).

فتقترب بصورتها التفصيلية هذه من كثير مما فصله القرآن الكريم في صورة الجنة ، فلاشتراك في الجذر اللغوي (جن) تأثيره في المعنى .
ونجد مثيلاً لهذه الصورة فيما روي عن ديار وبار التي سكنتها الجن (وحمتها من كل من أرادها وقصد إليها من الإنس، وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجراً وأطيبها ثمرأً وعنبأً ونخلأً وموزأً، وإن دنا أحد من الناس إلى تلك البلاد غالطأً أو متعمداً حثت الجن في وجهه التراب، وسفت عليه سوافي الرمل ، وأثارت عليه الزوابع) (١٣٢) .

وعلى هذا النحو يتجلى توجه ابن شهيد النقدي في النظر إلى العمل الإبداعي وربطه بشيطان الشعر وإلهامه لناظمه ، في مردود قد وجد صداه في أدب المشاركة ونقدهم ، بل في التراث العربي القديم من أيام الجاهلية .

وفي استدلال ابن شهيد في شعره ورسائله — التوابع والزوابع — بمرجعية هذه الفكرة إلى فحول الشعراء من العرب في الجاهلية وما بعدها يؤكد عمق اعتقاده بالموروث الجمعي الذي قامت عليه الثقافة العربية في ربطها بالإبداع الشعري بمسألة الإلهام أو شياطين الشعر ، ومعنى ذلك أن ابن شهيد يعبر باسترداد الزمن — مع إيمانه بتعاقبه وتغير عاداته — إلى الانقياد الفكري والاعتقادي لدى الأجداد العرب القدماء ، ومن ثم فهو لا يفتأ يذكر تيمات العروبة في الماضي حتى يدخل في زمرة تقليدها والانقياد لها .

(١٣١) بديع الزمان الهمزاني : المقامات بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٢، ص ٣٥٣ .
(١٣٢) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣م ، ج ٢/ ص ١٤٢ .

وقد كان لهذا الأمر أثره الواضح على توجهاته النقدية والبلاغية في كتاباته ، إذ كان أسيراً — في أغلب الأحيان — لمجريات الحركة الإبداعية بأدبها ونقدها وبلاغتها عند المشاركة ، وقد تم تفسير هذا من منظور نفسي يخص الرجل نفسه في مواجهة ومجابهة واقعه الخصومي من جانب ، وتمشياً مع تنامي الذات العربية بداخله والاعتزاز بها من جانب آخر .

فتلاقت تلك الأمور — عند ابن شهيد — في توجيهه نصوصه بشكل تتداعى فيه بنيات الاستلاب الفكري والإبداعي للشخصية العربية بكل معتقداتها ، لكنه مع انصياعه لذلك الموقف من التراث الأدبي العربي الذي شكل رؤيته الفنية ، كانت له بصمة في الحركة النقدية والبلاغية في الأندلس ، وتنامي مسيرتها ، وربما لم يبلغ أي ناقد أندلسي آخر — في تلك الفترة — مبلغه من هذا التوجه في معالجة القضايا المطروحة ، التي كان لشاعريته — كذلك — دور بارز في توجيه رؤيته بذوقه المرفه وإحساسه الجمالي ، وربطها بفكر أسلافه من أهل المشرق .

الخاتمة

توصلت الدراسة - في ضوء توجهاتها ومنطقاتها - إلى نتائج طمحت في تحقيقها ، يمكن رصد أهمها فيما يلي :-

* كشفت الدراسة عن توجهات ابن شهيد الأندلسي في مسائل البيان والوظيفة الأدبية ، وتبين ارتباط ذلك التوجه بالطموح السياسي عنده ، ولتحقيق مطامح ذاتية ينبغي السعي من أجل الوصول إليها .

* أوضحت الدراسة سمة عامة للنقد الأدبي عند ابن شهيد ، تمثلت في أن شخصيته النقدية لا تنفصل عن شخصيته الفنية أو الجانب الأدبي عنده ، إذ تبنى من الآراء - على مستوى النقد - ما يصلح لتفسير شخصيته الفنية ، فكشفت الدراسة عن اعتداده بالموهبة التي تتفجر بالشعر على البديهة أو الارتجال ، ومن ثم ارتكز على جانب الطبع وذكر أسباب جودته وفساده ، وذلك وفق ثلاث مراتب لتقسيمات المبدعين في طبقات صناع البيان ، وصدر عن اعتقاد أن النفس أو الروحانية هي مصدر الجمال الذي يتحقق موضوعياً عن طريق مبدأ التناسب والانسجام بين مكونات العمل الإبداعي .

* بينت الدراسة عمق أثر الأدب المشرقي على توجهات ابن شهيد ، واتخاذ من منطلقاتها أساساً أو معياراً لتكوين الأدب الأندلسي وتقييمه ، إلى جانب جعل أدب المشاركة مقياساً لاستنباط الأحكام النقدية في توجيه الأدب الأندلسي ، فجنده قد تأثر بشكل كبير بتجربة بأبي نواس والمتنبي ، وأخذ يعارض أشعارهما ، مستنداً على مبدأ الأخذ والتوليد لمعاني الشعر ، مع إيمانه بمبدأ التطور والتغير في العادات والأذواق ، وأن القيمة الفنية للشاعر الأندلسي لا تتحدد إلا بالقياس على الشعراء المشاركة .

* أظهرت الدراسة — كذلك — موقف ابن شهيد النقدي من قضية عمود الشعر وانتصاره لها وتأييده لطريقة العرب الأوائل وسنهم في قول الشعر ودروب النظم والذوق الفني .

* أوضحت الدراسة أن آراء ابن شهيد النقدية لم تخرج عن اتجاهين وردا في كتابه حانوت عطار ، يتمثلان في :

- (١) الاعتداد بالبديهة وجعلها مقياساً لأصالة الموهبة الشعرية .
- (٢) المعارضات الشعرية لأشعار المشاركة في قرض الشعر ونظمه ، وجعلها — كذلك — دليلاً على غزارة المادة وجودة الطبع ووجود الحس النقدي الذي يستلهم من تراث العرب السابقين .

* كشفت الدراسة عن تجليات العمل الإبداعي وأسس مقوماته عند ابن شهيد ، وذلك من خلال ثنائيات الطبع والصناعة ، والعلم والموهبة ، وطبقات اللغويين والكتّاب ، إلى جانب ما أقره من أن الإبداع لا يختلف كثيراً في النشر عن الإبداع في الشعر ، فإذا كان ابن شهيد — في موقف المبدع — قد أرجع موهبة الشعر الخارقة إلى الشياطين ، فقد فعل نفس الشيء مع النشر ، وطفق يلتقي بتوابع الكتاب مثل الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان .

* بينت الدراسة عمق اعتقاد ابن شهيد بفكرة شياطين الشعر وإيمانه بوجود ملهم في العمل الإبداعي ، فلاحظت الدراسة رؤية ابن شهيد وتوجهاته حول — على مستوى الشعراء — رواج فكرة شياطين الشعر التي تلهمهم وتخلق موهبتهم ، على حين يروج — على المستوى النقدي — إيمان النقاد بالصناعة التي لا تدخل للشياطين فيها ، ولعل ذلك يمكن تعليقه باهتمام الشاعر باللمحة الأولى التي يبرز فيها العمل الفني في ذهنه وتشوقه إليها ، على حين يجد الناقد العمل الأدبي ناضجاً مكتملاً ، تتبدى فيه الصناعة والحبكة والجهد .

* أظهرت الدراسة أن الإعلاء من فكرة شياطين الشعر والإلهام لدى ابن شهيد ، يتفق مع ما اشتهر به من صدوره عن طبعه ، وكذلك إجادته لقول الشعر على

البديهة ، فكان مذهبه النقدي متجلياً في إعلاء جانب الطبع الذي يصدر عن منطق النفس والروحانية والحس والذوق .

وبعد، فهذه كانت أهم نتائج الدراسة التي توصلت إليها بعد الطرح والمعالجة .

الهوامش

- (*) انظر : ابن بسام (أبو الحسن علي الشنترنيني ت: ٥٤٢هـ) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٥م ، قسم ١ ج ١ ، ص ٢٣٨ .
- (*) المصدر السابق ، قسم ١ ج ١ ، ص ١٩٩ .
- (١) محاضرات الموسم الثقافي في الكويت (العدد الخامس) ، الكويت ١٩٥٩م ، ص ١٧٦ .
- (٢) انظر : الحميدي (أبو عبد الله بن فتوح بن عبد الله الأزدي ، ت : ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص ٢٩٠ ، وانظر : ابن الكنائي : التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، بيروت ، طبعة ١٩٦٦م ، مقدمة الكتاب .
- (٣) غومس غارسيا : الشعر الأندلسي ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ، ص ٥٨ ، ٦٢ .
- (٤) انظر في ذلك : ابن الأبار : التكملة ، القاهرة ، طبعة ١٩٥٥م ، ص ٤٩٥ .
- (٥) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٣ .
- (٦) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ج ٧/ ص ٣٧ .
- (٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٦ ، وانظر الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٩٣ .
- (٨) الحميدي : المصدر السابق ، ١٣١ ، وانظر : د/ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الأندلس ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠م ، ص ٤٤ .
- (٩) انظر ابن بسام : الذخيرة قسم ١ ج ١ ص ١٩٨ .
- (١٠) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، قسم ٢ ص ٣٥٥ .
- (١١) انظر : ابن بسام الشنترنيني : الخيرة ، قسم ١ ج ١ ، ص ٣٦ ، وانظر : محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٩٠ ، وانظر كذلك : أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٣م ، ج ٢/ ص ٢٧٢ .
- (١٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٠٨ .
- (١٣) المصدر السابق ، قسم ١ ج ١ ، ص ٢١٢-٢١٣ .
- (١٤) ابن شهيد : ديوانه ، ص ١٠٩-١١٠ .
- (١٥) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢-١٩٣ .
- (١٦) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد) : وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ج ١/ ص ١١٦-١١٧ ، وانظر الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٣ ، وانظر : الضبي (أحمد بن يحيى) : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م ، ص ١٩٣ .
- (١٧) انظر : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٣ ، وانظر : ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢ .
- (١٨) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣٥-١٣٦ .
- (١٩) المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد) : نفح الطيب ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج ٣/ ص ١٥٦ .
- (٢٠) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ١٩٢ .
- (٢١) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ ج ١ / ص ٢٤٣ .

- (٢٢) المصدر السابق، قسم ١ ج ١/ ص ٢٤٤، وانظر: ابن شهيد (أبو عامر أحمد بن عبد الملك): رسالة التوابع والزوابع، تحقيق ودراسة: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١٢٢-١٢٣.
- (٢٣) لابن شهيد أعداء كثيرون من معاصريه، منهم: أبو عبد الله خالد بن يزيد الفرضي وزير يحيى بن علي بن حمود، الذي هجاه ابن شهيد وذكر اشتغاله بالكيمياء (الذخيرة قسم ١ ج ١ ص ٢١٧، ٢٢٠) وأبو جعفر بن عباس وزير زهير الصقلبي الذي عاب ببديهة ابن شهيد فهجاه على ذلك (الذخيرة، السابق، ص ٣٠٥-٣٠٧)، وأبو جعفر بن فتح الذي تقرب إلى يحيى بن علي المعتلي، وقدم إليه صديقه ابن الإفيلي دون ابن شهيد فهجاه على ذلك أيضاً (الذخيرة، السابق، ص ٢١٤، ويطرس البستاني: مقدمة التوابع والزوابع، ص ٣٠-٣١) وقد صرح ابن شهيد بأسماء ثلاثة من أعدائه ومنقدي أدبه، هم: أبو محمد، وأبو القاسم، وأبو بكر، وجاء ذكرهم في رسالة التوابع والزوابع ص ١٢٣، والذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٣٠-٢٣١، ص ٢٤١-٢٤٢، ص ٢٧٣.
- (٢٤) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م، ج ٤/ ص ٢٣، ٢٤.
- (٢٥) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١، ص ٢٣٦.
- (٢٦) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ص ١١٦-١١٧.
- (٢٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١/ ص ٦١.
- (٢٨) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٦٦، الحرف: الريح الشديدة، والكنهور: السحاب.
- (٢٩) ابن بسم: المصدر السابق، ص ١٩٩.
- (٣٠) د/ أميرة مطر: في فلسفة الجمال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١١٣-١١٤.
- (٣١) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ١٩٧.
- (٣٢) المصدر السابق، ص ٢٣٢.
- (٣٣) د/ أميرة مطر: في فلسفة الجمال، ص ١١٧.
- (٣٤) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٦٦.
- (٣٥) المصدر السابق، ص ٢٣٤.
- (٣٦) انظر: د/ عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية للنقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م، ص ٦٧.
- (٣٧) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٣١٠-٣١١.
- (٣٨) ابن شرف القيرواني (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد): رسائل الانتقاد، ضمن رسائل البلغاء، أعلام الكلام، جمع: كرد علي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩١٣م، ص ٣٨٣٧.
- (٣٩) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٣١٨-٣١٩.
- (٤٠) السابق، ص ٢٠٥.
- (٤١) انظر: المصدر السابق، ص ٢٠٤.
- (٤٢) ابن بسم: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٤٤.
- (٤٣) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ص ١١٣.
- (٤٤) (الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ج ١/ ص ٤-٥، وقد ذكر ابن حيان عن شعر ابن شهيد: (وشعره حسن عند أهل النقد تصرف فيه المطبوعين فلم يقصر عن غايتهم) ابن بسم: الذخيرة قسم ١ ج ١/ ص ١٩٢.
- (٤٥) الأمدي: المصدر السابق، ص ٥٤.
- (٤٦) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ص ٩٨.
- (٤٧) (ينقل ابن بسم عن ابن شهيد أن مذهب أبي تمام سمة من سمات العصر، ولكنه لا يقبله علي علاته، فالتوسط في الصناعة أفضل يقول: (و كذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصناعة بانتقال الزمان، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه، وتهش له قلوب أهله، فكان من صريع الغواني وشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان من استعمال أفانيته وزيادة في تزييف فنونه، ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس، وخرج عن العادة، وطاب ذلك منه، وامتنله الناس، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيساً أو ما يشبهه تجده الأذن والتوسط في الأمر أعدل، ولذلك فضل أهل البصرة صريع الغواني علي أبي تمام لأنه ليس ببياضة المحدثين علي لامة العرب، فتركب له من الحسن بيهما ما تركب). ابن بسم: الذخيرة قسم ١ ج ١/ ص ٢٣٧-٢٣٨. ويلاحظ أنه لا يدرك من سر صناعته سوى التجنيس ويفضل عليه مسلم بن الوليد. وقد فعل ذلك من قبل الأمدي قائلاً: (لأنه ينحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه). الأمدي: الموازنة ج ١/ ص ٥.
- (٤٨) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ص ١٠٢.

- (٤٩) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١٠٠.
- (٥٠) (البحتري) (أبو عيادة الوليد بن عبيد): ديوان البحتري، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م ج ١/ص ٨٣.
- (٥١) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١٣٥.
- (٥٢) د. عبد الفتاح عثمان: نظرية الشعر في النقد العربي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٥٥.
- (٥٣) البحتري: ديوان البحتري، ج ١/ ص ٨٦.
- (٥٤) ابن شهيد: ديوانه ص ٨٦ والتواضع والزواضع ص ١٠٤.
- (٥٥) ابن شهيد: ديوانه ص ٨٣، ٩١، ١٠٠، ١١٣، ١١٧، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤.
- (٥٦) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١١٢ - ١١٣.
- (٥٧) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ٩٢ - ٩٣.
- (٥٨) (أمرؤ القيس (ابن حجر الكندي): الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م ص ٣٣.
- (٥٩) ابن شهيد: ديوانه ص ١٠٧.
- (٦٠) (أمرؤ القيس): ديوانه ص ٥٦ - ٥٧.
- (٦١) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ٩٧.
- (٦٢) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ص ٣٣٤.
- (٦٣) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ص ٣٣٤.
- (٦٤) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١.
- (٦٥) دوافع ابن شهيد عن استعماله للوحشي من الكلام فيما يحكيه عن أحد تلاميذه الذين كان يعلمهم البيان بقوله: "ورأني استعمل وحشي الكلام في مواضعه، ولم يشعر بحسن الوضع، فاستعمل شيئا منه وعرضه عليّ، فقلت استره، فقال: تبخل علي به، وعرضه علي ابن الإفليلي، فقال له: تتكبر هذا الكلام فقال له: إن أبا عامر يستعمله فقال: يضعه في موضعه وهو أدرب منك في استعماله) ابن بسام: الذخيرة قسم ١ ج ١/ ص ٢٣٥.
- (٦٦) عبد القادر القط: حركات التجديد في الشعر العباسي ضمن كتاب (إلي طه حسين في عيد ميلاده السبعين)، تحت إشراف: د/ عبدالرحمن بدوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٤١٨.
- (٦٧) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١١٢.
- (٦٨) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١١١.
- (٦٩) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ١١٣ - ١١٤.
- (٧٠) ديوان المتنبي بشرح أبي الحسن الواحدي ص ١٦١، والديوان بشرح د/ عبد الوهاب عزام، ص ١٠٧.
- (٧١) ديوان المتنبي بشرح أبي الحسن الواحدي ص ٢٩٨ - ٢٩٩، ونسخة د/ عبد الوهاب عزام، ص ١٧٣، ١٧٢.
- (٧٢) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع. ص ٩٢ - ٩٣.
- (٧٣) السابق، ص ٩٦ - ٩٧.
- (٧٤) السابق، ص ١١١.
- (٧٥) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع، ص ٩٨.
- (٧٦) السابق، ص ١٠٢.
- (٧٧) السابق، ص ١٠٤.
- (٧٨) السابق، ص ١٠١، ١١٤.
- (٧٩) السابق، ص ١٠١.
- (٨٠) ابن بسام: الذخيرة قسم ١ ج ١/ ص ٢٣٧.
- (٨١) د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة ١٩٧١م، ص ٣٢١ - ٣٢٤.
- (٨٢) ابن بسام: الذخيرة قسم ١ ج ١/ ص ٢١٣.
- (٨٣) هوارس: فن الشعر، ترجمة: د/ لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص ١٦.
- (٨٤) ابن بسام: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٣٨ - ٢٣٩.
- (٨٥) الحميدي: جذوة المقتبس ص ١٣٦، حيث يقول عن ابن شهيد: (وكان له من علم الطب نصيب وافر).
- (٨٦) أنظر لترجمة ابن الأفلح: ابن خير: فهرسة ابن خير ص ٤٠٣ - ٤٠٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١، يا قوت الحموي: معجم الأدباء ج ٧ ص ٣٠٧ ابن بسام: الذخيرة قسم ١ مج ص ٢٨١ - ٢٨٢ وفي المصدر الأخير ينقل ابن بسام ترجمة ابن حيان له التي يعيننا منها ما يأتي:-

- (أ) مكانته العلمية وثقافته اللغوية: يقول ابن حيان (بذ أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الأشتعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها) ص ٢٨١.
- (ب) سوء خلقه في العلم: (وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده) ص ٢٨١ - ٢٨٢.
- (ج) طموحه السياسي: (وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة، فأزلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود، ومن تلاهم إلى أن نال الجاه) ص ٢٨٢.
- (د) كساد أدبه الذي يرجع إلى سوء طريقته في الكتابة: (واستكتبه المستنكفي بعد ابن برد فوقع كلامه جانباً من البلاغة لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلفين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين فزهد فيه) ص ٣٨٣.
- ونذكر ابن شهيد مثل ذلك عنه أيضاً. انظر ابن بسام: الذخيرة، قسم ١ ج ١/ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ومما سبق يتبين لنا توافر أسباب الاختلاف مع ابن شهيد، فقد كان لكل منهما طموحه السياسي، الذي يمكن أن يتعارض مع الآخر، فضلاً عن الاختلاف بين ثقافة كل منهما وطريقته في الكتابة.
- (٨٧) ابن شهيد: رسالة التوايع والزوايع. ص ١٣١.
- (٨٨) السابق، ص ١٢٥.
- (٨٩) السابق، ص ١٢٤.
- (٩٠) السابق، ص ١٢٤.
- (٩٠) السابق، ص ١٣١.
- (٩٢) السابق، ص ١٣١.
- (٩٣) الأمدي: الموازنة ج ١ ص ٥٢.
- (٩٤) ابن شهيد: رسالة التوايع والزوايع. ص ١١٥.
- (٩٥) د. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٣٤م ج ١ ص ٢٢٢.
- (٩٦) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج ٩/ ص ١٢٢.
- (٩٧) ابن شهيد: رسالة التوايع والزوايع. ص ١٢٥ - ١٢٧.
- (٩٨) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ١٦٩.
- (٩٩) المصدر السابق ص ٦٥.
- (١٠٠) نفسه، ص ٩٤.
- (١٠١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٢٥٠.
- (١٠٢) د. ألفت محمد كمال: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٩٣.
- (١٠٣) أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق: د/ عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، ص ٨٣.
- (١٠٤) أبو نصر الفارابي: جوامع الشعر، تحقيق: د/ محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٧٤.
- (١٠٥) ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو الحسين بن عبد الله): الشعر، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٣٤.
- (١٠٦) د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي ص ٣١٤ وأنظر: بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي ٢١٥.
- (١٠٧) أشار ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء إلى هذه العناصر بمثل قوله: (وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف، ومنها الطمع ومنها الشوق، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب) ج ١/ ص ٧٨، ونقل أيضاً ويقال أنه لم يستدع) شاراد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي) ج ١/ ص ٧٩. وقال أيضاً: (وللشعر أوقات يسرع فيها آتيه، ويسمح فيه إبيه، منها أول الليل قبل تغشي الكري، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير) ج ١/ ص ٨١، وانظر أيضاً: ابن رشيق القيرواني: العمدة ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨.
- (١٠٨) فكرة شياطين الشعراء أشهر من أن يدلل عليها، راجع على سبيل المثال:-
- (أ) ابن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، فصل في قول الجن الشعر علي السنة العرب، ص ٤٧ - ٦٢.
- (ب) الجاحظ: الحيوان ج ١/ ص ٢١٥ - ٢٣١.

- (ج) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران ص ٢٥٢ - ٢٩١ .
- رسالة الشياطين - مع رسالة الغفران - نشر كامل كيلاني ج٤ ص ٤٧٥ - ٤٠٦ .
- (د) محمود شكري الألويسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج٢ ص ٣٦٥ .
- (هـ) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: قصص العرب ج٤ ص ٣٦٥ .
- (١٠٩د) رجاء عيد: التراث النقدي، نصوص ودراسة، (صناعة الشعر عند النقاد العرب القدماء)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ٥٣ - ٨٨ .
- (١١٠) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع، ص ١٨٨ .
- (١١١) ابن منظور: لسان العرب: مادتا (تبع - زبع) .
- (١١٢) د. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
- (١١٣) المرجع السابق ص ٣٥٠ .
- (١١٤) روثن. ك. ك: قضايا في النقد الأدبي، ترجمة د/ عبد الجبار المطلبي، مراجعة د/ محسن جاسم الموسري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص ١٣٩ .
- (١١٥) أبو العلاء المعري: رسالة الشياطين ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
- (١١٦) أبو العلاء المعري: رسالة الشياطين ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .
- (١١٧) الثعالبي: خاص ص ١٠٢ .
- (١١٨) أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام ص ١٧٢ . قال الصولي: (وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حقوقه وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتبقيح حسنه، وما ظننت أن كفرًا ينقص من شعر، ولا أن إيماناً يزيد فيه) .
- (١١٩) القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتبني وخصومه ص ٦٤ .
- قال القاضي الجرجاني: (فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، وكان أولاهم بذلك أهل، الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبيري وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرسا، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر) .
- (١٢٠) (المرزباني) (أبو عبيد الله محمد بن عمران): الموشح، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٨٥ .
- (١٢١) يبدو أن هذا الاسم مشتق من طبيعة الأندلس، حيث الزهر والماء النмир، اللذين حلما للعربي في موطنه الأصلي (الصحراء) .
- وقد تبدو الصلة واضحة بين اسم التابع الشاعر أو الكاتب مثال: حسين الدنان شيطان أبي نواس وأبي الطبع شيطان البحري، وأبي عينة شيطان الجاحظ، وقد يختار الاسم ليناسب شيئا مشهوراً في شعر الشاعر، مثل اختيار عتبية بن نوفل ليناسب الدخول فحومل عند امرئ القيس .
- (١٢٢) ابن شهيد: التواضع والزواضع ص ٩ - ١٠ .
- (١٢٣) ابن يسام الشنتريني: الذخيرة قسم ١ مج ١ ص ١٩٢ .
- (١٢٤) ابن يسام الشنتريني: الذخيرة قسم ١ مج ١ ص ١٩٢ .
- (١٢٥) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع ص ٨٨ .
- (١٢٦) السابق، ص ١٠٩ .
- (١٢٧) المصدر السابق ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- (١٢٨) ابن ظافر الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر): بدائع البداهة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ٨٣ - ٨٤، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٥٧ .
- (١٢٩) ابن شهيد: رسالة التواضع والزواضع ص ٩١ .
- (١٣٠) السابق، ص ٩١ - ٩٣ .
- (١٣١) بديع الزمان الهمزاني: المقامات بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٢، ص ٣٥٣ .
- (١٣٢) (المسعودي) (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م، ج ٢/ ص ١٤٢ .

المصادر والمراجع

أولاً :- المصادر :

- الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر : ت ٣٧٠ هـ) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - تحقيق : السيد أحمد صقر - ط ٢ - دار المعارف - ١٩٧٢ م .
- ابن بسام (أبو الحسن على الشنتريني : ت ٥٤٢) : الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة - تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٧٥ م .
- (٣) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك : ت ٥٧٨ هـ) ، كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .
- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ) ، طوق الحمامة ، تحقيق : د. الطاهر مكي ، ط ٤ ، دار المعارف ، ١٩٥٨ م .
- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأندلسي ، ت ٥٣٥ هـ) ، مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٥ هـ .
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد ، ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
- ابن خير (أبو بكر محمد الإشبيلي ، ت ٥٧٥ هـ) : فهرست ما رواه عن شيوخه . تصحيح : زهير فتح الله ، مؤسسة الخاتجي ، ومؤسسة المتنبي ، ط ٢ ، ١٩٦٣ م .
- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن ، ت ٦٣٣ هـ) : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، مراجعة د. طه حسين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ابن رشيقي (أبو الحسن علي القيرواني ، ت ٤٦٣ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢ م .
- ابن سعيد الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ) :
أ- رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار طلاس ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
ب- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م ، ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو الحسين بن عبد الله ، ت ٤٢٨ هـ) : من كتاب الشفا ٩٠٠٠ ، الشعر ، تحقيق وتقديم : د/ عبد الرحمن بدوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ج- ابن شرف القيرواني (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد ، ت ٤٦٠ هـ) ، رسائل الانتقاد ، ضمن رسائل البلغاء ، جمع كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الثانية ، ١٩١٣ م .
- ابن شهيد (أبو عامر أحمد بن عبد الملك ت ٤٢٦ هـ) : رسالة التواضع والزواجع ، تحقيق ودراسة : بطرس اليستاني ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ابن طباطبا (أبو الحسن محمد أبو الحسن أحمد العلوي ، ت ٣٢٢ هـ) ، عيار الشعر تحقيق : د/ محمد زغلول سلام ، ط ١ ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٠ م .
- ابن ظافر الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر ت ٦١٣ هـ) : بدائع البداه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ م .
- ابن عباد (صاحب أبو القاسم إسماعيل ، ت ٣٨٥ هـ) : الكشف عن مساوئ المتنبي ، مع الإبانة عن سرقات المتنبي ، تحقيق : إبراهيم السوقي البساطي ، ط ١ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م .
- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد ، ت ٧١٢ هـ) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ هـ) : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ م .
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري الخزرجي ، ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصورة عن طبعة بولاق .
- أمرو القيس (ابن حجر الكندي) : ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م .

- البحري (أبو عبادة الوليد بن عبيد ، ت ٢٧٤هـ) : ديوان البحري ، تحقيق وشرح وتعليق : حسن كامل الصيرفي ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .
- بديع الزمان الهمداني ، المقامات بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط صبيح ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢م .
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل النيسابوري ، ت ٤٢٩هـ) :
 أ- خاص الخاص ، تقديم حسن الأمين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
 ب- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
 - الجاحظ (أبو عثمان بن بحر ، ت ٢٥٥هـ) :
 أ- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٤ ، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥هـ .
 ب- الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط . البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٩٦٧م .
 - جاد المولي ، محمد أحمد ، قصص العرب ، الجزء الرابع ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٦١م .
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت ٤٧١هـ) ، أسرار البلاغة . نشر محمد عبد العزيز النجار ، ط . صبيح .
- الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، ت ٣٦٦هـ) : الوساطة بين المتبني وخصومة ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، ط . البابي الحلبي ، ١٩٦٦م .
- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن قنوح ، ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٢٣٥هـ) : أخبار أبي تمام ، تحقيق : خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
- الضبي (أحمد بن يحيى ، ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر دار الكتب العربي ، ١٩٦٧م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى .
- العماد الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد ت ٥٧٩هـ) : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم الرابع ، الجزء الثاني ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، ت ٣٣٩هـ) :
 أ- إحصاء العلوم ، تحقيق : د. عثمان أمين ، ط مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٦٨م .
 ب- جوامع الشعر ، تحقيق : د. محمد سليم سالم ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧١م .
 - قدامة بن جعفر ، ت ٣٣٧هـ) : نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
- القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب) : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، ١٩٨١م .
- المتبني ، الديوان بشرح الواحدي ، تحقيق : فريدريك ديتريشي ، نشر مكتبة المتبني ، بغداد ١٩٦٤م ، عن طبعة برلين ١٨٦١ .
- المراقشي (محيي الدين عبد الواحد بن علي ، ت ٦٤٧هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- المرزباتي (أبو عبيد الله محمد بن عمران ، ت ٣٨٤هـ) : الموشح ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط . دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م .
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت ٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . ط ٥ ، ١٩٧٣م .
- المعري (أبو العلاء أحمد بن سليمان ، ت ٤٤٩هـ) :
 أ- رسالة الشياطين ، نشر كامل كيلاني مع رسالة الغفران ، الجزء الرابع ، مطبعة المعارف .
 ب- رسالة الغفران ، تحقيق وشرح : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ط . دار المعارف ، ط ٤ .
- المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد ١٠٤١هـ) : نفح الطيب ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط . دار صادر ، بيروت .
- هوراس ، ت ٨ ق م) : فن الشعر ، ترجمة د. لويس عوض ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م .

- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ط . دار المستشرق ، بيروت ، لبنان .

ثانياً : المراجع :

- الألويسي (محمود شكري) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الجزء الثاني تصحيح محمد بهجة الأثري ، ط ٣ .
- د. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٥ م .
- د. أحمد هيكال : الأدب الأندلسي ، من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ط . دار المعارف ، ١٩٧٩ م .
- د. ألفت محمد كمال عبد العزيز : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م .
- د. أميرة حلمي مطر : في فلسفة الجمال ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- بالنثيا (أنخل جنثالث) : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د. حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥ م .
- د. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء التاسع ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م .
- د. رجاء عيد : التراث النقدي نصوص ودراسة ، نشر منشأة المعارف ، الإسكندرية .
- روثفن ، ك.ك : قضايا في النقد الأدبي ، ترجمة : د. عبد الجبار المطلبي ، مراجعة : د. محسن جاسم الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
- د. زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، الجزء الأول ، ط . دار الكاتب العربي ، ١٩٣٤ م .

- د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط. دار المعارف ، بمصر ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١ م .
- د. الطاهر مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه (طوق الحمامة) ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .
- د. عبد القادر القط : حركات التجديد في الشعر العباسي ، ضمن كتاب : (إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) ، تحت إشراف د. عبد الرحمن بدوي ، ط. دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ م .
- د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية للنقد العربي ، دار الفكر العربي ط ٣ ، ١٩٧٤ م .
- د. محمد زغلول سلام . تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، ط. منشأة المعارف بالإسكندرية .
- د. محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، ط . دار النهضة مصر ، ١٩٧٢ م .
- د. مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م .

